ليس من المعقول ان كتب هذه المكتبة كفت مواقد حمامات الاسكندرية ستة شهور متوالية !! أليس هذا محض افتراء ؟! ومما يزيد الشك فى رواية أبى الفرج الملطى هو أن بعض المؤرخين أثبت أن يحيى النحوى الذى حادث عمر بن العاص فى شأن هذه المكتبة (كما يزعم أبو الفرج) مات قبل فتح العرب لمصر وقبل استيلائهم على الاسكندرية بنحو ثلاثين عاماً — هذا وقد كان أبو الفرج الملطى أسقفاً دينيا متعصبا. وهذا ماحمله على افتراء تلك الفرية

وهناك كثير من الأدلة تثبت فساد زعم هؤلاء الذين لا هم لهم الا تشنيع سمعة العرب والافتراء عليهم بأنهم هدموا حضارة العالم القديم. ومن هذه الأدلة ماسنوردها

١ — على فرض ان المكتبة كانت موجودة أيام الفتح فانه لايعقل ان الرومان أغفلوا نقل الكتب فى اثناء الهدنة وهى أحد عشر شهراً لجلائهم عن الاسكندرية

٢ — ان آداب الاسلام وأخلاق المسلمين تأبى على عمر وعمرو أن يفعلا هذه الفعلة فالدين صريح فى تحريمه التعرض للكتب الدينية وينهى عن احراقها

٣ — لو كانت هذه الحادثة قد حدثت فعلا لكان مؤرخو العرب قد دونوها فى ذلك العصر

٤ — العرب فى فتحهم لم يكونوا قساة ولامخربين كغيرهم من الامم وبخاصة فى فتح مصر وليس هناك فائدة تعود عليهم من احراقها

٥ — لايعقل ان العرب الذين كانوا يعتقون الأسير اذا علم عشرة من الصبية القراءة والكتابة أن يحرقوا المكتبة ويحاربوا العلم . . !

وعلى ذلك فتبعة احراق المكتبة تقع على قيصر وبطارقة الرومان بالاسكندرية . وأنها لم تكن موجودة عند الفتح العربى . والعرب أبرياء من هذا الوزر براءة الذئب من دم يوسف

محمد محمد مكين

ابواب المجلة الجديدة

اخبار عمرانية

تقدم العلوم والفنون

اسئلة القراء

المؤلفات الجديدة

مختارات من الجرائد والمجلات




اخبار عمرانية

صيد السمك فى اليابان

فى اليابان مليون ونصف من الصيادين الذين يعيشون بصيد الاسماك فى البحار التى تحيط ببلادهم . ويقدر الدخل السنوى لليابانيين من السمك بنحو ٢٣ مليون جنيه . وليس هذا المقدار العظيم غريباً إذا علمنا أن ٨٥ فى المائة من طعام اللحم الذى يتناوله اليابانيون هو من السمك

وعند الصيادين اليابانيين ٣٣٢٠٧٥٧ زورقا شراعياً و٢٠٠٧٩٧ زورقاً بخارياً أو موطرياً ومن الاعياد اليابانية عيد يحتفل به فى شهر مايو فى أعظم المعابد البوذية فى توكيو . وهذا العيد يحتفل به لتكريم ثلاثة من الصيادين عاشوا قبل ١٠٠٠ عام

هل فرنسا غير متمدنة

تمارس فرنسا من العادات ما يدعو إلى انتقاد الامم الاخرى . فمن ذلك أنها تؤلف فيلقاً من نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل تجمعهم من المشردين فى أنحاء العالم وتقذف بهم فى معاركها . ويسمى هذا الفيلق « الفرقة الاجنبية » ومعظمه يقيم فى الجزائر وعلى تخوم مراكش وهو يخدم الاستعمار الفرنسى . وهو يحتوى على مئات الالمان والصينيين والعرب والروس وغيرهم

ومما تنتقد عليه فرنسا أيضاً أنها ما تزال تنفى مجرميها الى جزيرة كاين فى غيانا الفرنسية . وهذه الجزيرة وبيئة ولذلك فان هؤلاء الأشقياء يموتون فيها كالذباب . وقد كانت انجلترا تسلك هذا المسلك قديماً مع مجرميها فتنفيهم الى استراليا . ولكنها كفت عن ذلك لانها رأت أن هذا العمل لا يتفق مع الاخلاق الفاضلة

ولكل أمة عيوبها . ولكن الفيلق الاجنبى وجزيرة كاين وصمتان فى جبين فرنسا

ازدياد الجرائم

تزداد الجرائم فى أوربا وخصوصاً تلك الجرائم التى يرتكبها الشبان وتحتاج الى اقتحام وبراعة حتى تكاد تشبه نوعاً من البطولة الرائقة . ويعلل ازديادها بالمناظر السينمائية والمجلات المصورة التى تنشر صور المجرمين وتذكر جرائمهم كأنها مآثر ومعجزات لانها تستهوى القارىء الغرير الى القيام بمثل أعمالهم

وقد كانت مجلة الدنيا المصورة الى عهد قريب ترسم صورة حافظ نجيب وتملأ بصورته صفحة كاملة وتذكره بلقب «الاستاذ» ثم تروى ما ارتكبه من النصب والاحتيال . ولهذا العمل أثر سيء كبير في شباننا

١٠٠٠٠٠ ميراة في اليوم

مما يدل القارىء على أن الآلات تأخذ مكان الأيدى في الصناعة أن معامل رمنجتون في الولايات المتحدة أنشأت مصنعا يصنع في اليوم ١٠٠٠٠٠ ميراة . وشفرة الميراة من الفولاذ وهى تركب في نصابها وتخرج كاملة تعرض للبيع

وثلاثة أو أربعة مصانع مثل هذا المصنع لاتكفى الولايات المتحدة فقط بل تكفى العالم كله اذا عملت كل يوم هذا المقدار من المبارى

المدينة الجامعية

كتب الاستاذ بلوش مقالا عن «المدينة الجامعية» في باريس فقال أنها أسست سنة ١٩٢٤ وأقيمت بها دور تؤوى ٣٠٠ طالب فرنسي . ومن ذلك الوقت انشىء الى جانب هذه الدور الفرنسية دور أخرى للطلبة الأجانب الوافدين من كندا واليابان وأرجنتينا وبلجيكا . والبناء يجرى الآن لاقامة دور لايواء الطلبة الوافدين من الاقطار الاوربية . وسيكون عدد غرف الطلبة سنة ١٩٣٣ «٢٥٠٠» غرفة . وقد تبرع المستر روكفلر المثرى الامريكى بمبلغ ٩٠ مليون فرنك سيقام به «بيت عام» يمكن الطلبة أن يتناولوا فيه طعامهم ويجدون فيه كل مايوجد في الاندية الراقية من موسيقى وكتب وعناية طبية ومكان للرياضة الجثمانية الخ

صناعة الصحافة

الصحافة صناعة من أشرف الصناعات وأربحها للأمة اذا كانت في يد أبنائها . أما اذا لم تكن في يد أبنائها — كما هى الحال عندنا — فهى عار عليها وفقر لها تنقل ثروتها الى أيدى الغرباء الذين يتجرون بالرأى العام ولا يعطفون على أمانيها ولا يبالون بحرياتها أو استقلالها

ويبلغ الدخل العام للصحف الامريكية — بالولايات المتحدة — في السنة ٣٠٠ مليون جنيه من الاشتراكات والبيع والاعلانات . ونحن محرومون في مصر من هذا الدخل لأن صحافتنا في أيدى الأجانب . ويبلغ متوسط العدد الذى يوزع على الجمهور من الصحف اليومية ٤٠ مليون نسخة أى نحو نسخة لكل ثلاثة أشخاص مع احتساب الأطفال . أما متوسط المجلات فهو ١٢٠ مليون نسخة في الشهر أى نسخة لكل شخص

وهذا بالطبع يعود الى أن جميع السكان يقرأون لان الامية معدومة من الولايات المتحدة

حوادث التمثيل السينمائى

يبلغ متوسط الحوادث التى تقع فى التمثيل السينمائى فى كليفورنيا ١٥ حادثة كل يوم نصفها خطير. وقد ثبت من الاحصاء فى السنوات الست الماضية أنه قتل ٥٥ شخصا وجرح ١٠٧٣٨ شخصا آخر. وقد دفعت شركات التمثيل نحو ١٠٠٠٠٠٠ جنيه تعويضات فى هذه المدة

ويجب لذلك أن يذكر المتفرجون أن جميع مايرونه من الحوادث على اللوحة السينمائية قد رافقته أحيانا لجائم انتهت بالجراح الخطيرة أو الموت

انجلترا تتقهقر

قامت عظمة انجلترا فى القرن الماضى على الفحم والحديد. فان العالم كان ينتقل الى العصر الصناعى فى ذلك القرن. وكان الحديد فى الازمنة الماضية لايصنع الا بفحم الخشب. ولكن عرفت فى القرن الماضى طريقة لصنعه بالفحم الحجرى فوثبت انجلترا للامام وتصدرت فى عالم السياسة. لان السياسة تبع للثروة

ولكن هذه الثروة تفلت الآن من انجلترا لان الامم الاخرى أخذت تزاحمها فى صنع الحديد. وهذه المزاحمة من أكبر الاسباب لتأخر انجلترا الآن وارتباكها فى معالجة البطالة ومن النظر الى الاحصاءات التالية يتضح للقارئ كيف تتفوق الآن الامم الاخرى على انجلترا:

ففى سنة ١٨٦٢ كانت انجلترا تتزعم العالم الصناعى اذ صنعت أربعة ملايين طن من الحديد بينما فرنسا لم تصنع سوى مليون والولايات المتحدة ٧٠٠٠٠٠ طن فقط. وبقيت انجلترا الى سنة ١٨٨٥ وهى « ورشة » العالم تصنع الآلات وتصدرها الى جميع أنحائه وكان أغنياء الالمان والفرنسيين يرسلون أولادهم اليها لكى يتعلموا فيها ادارة المصانع

وفى سنة ١٨٨٠ بلغ المصنوع من الحديد ١٨ مليون طن صنعت انجلترا منه تسعة ملايين طن أى النصف

ولكن جاءت سنة ١٨٩٠ فاذا بانجلترا تتأخر. فقد بلغ المصنوع من الحديد ٢٧ مليون طن. منها ٩ من الولايات المتحدة و٨ من انجلترا و٥ من المانيا

وفى أول القرن الحاضر صنع ٤٠ مليون طن منها ١٤ بالولايات المتحدة و٩ بانجلترا و٨ بألمانيا

وفى سنة ١٩٣٠ بلغ المصنوع من الحديد ٩٥ مليون طن. منه ٣١ مليونا بالولايات المتحدة. و١٢ بألمانيا و٩ بفرنسا و٨ بانجلترا و٦ بروسيا

وهذه أرقام ناطقة ترعب جميع الانجليز

تقدم العلوم والفنون

آلة الاعتراف

اخترع الدكتور كيل أحد علماء السيكلوجية فى شيكاغو آلة للفحص عن المتهمين وتمييز الجانى من البرىء منهم

والآلة تشبه ذلك الجهاز الذى يربط حول الذراع للوقوف على درجة الضغط فى الدم . ثم رباط آخر يوضع حول الصدر

وكلا الرباطين يدل الممتحن على مقدار الهياج النفسى الذى يخامر المتهم . فانه يسأله بضعة أسئلة بعضها له علاقة بموضوع الجريمة المتهم فيها وبعضها لا علاقة له بها . فاذا كان المتهم خالى الذهن من الجريمة فان الاسئلة لا تهيجه فلا يزيد ضغطه بذراعه ولا يزداد صدره بالتنفس . ولكن إذا كان يشعر بأن الاسئلة تمسه فان الضغط والتنفس يزدادان ويثبتان تلبسه الجريمة

وقدحدثت سرقة فى أحد المتاجر الكبيرة فى شيكاغو فعمد الدكتور كيل الى جميع الموظفين من المدير الى البواب وامتحنهم بهذه الآلة . فوجد أن السرقة المطلوب البحث عنها لم يرتكبها واحد منهم ولكن اتضح أن ثلاثة من الموظفين قد ارتكبوا سرقة أخرى كان المرتكبون لها مجهولين

أصل الدوار

لماذا نشعر بدوار إذا وقفنا على طرف هوة عميقة ؟

أجاب المستر بيكر على هذا السؤال فى خطاب الى التيمس بقوله أن الدوار لا يصيبنا للارتفاع الشاهق الذى نشعر به ولا للخوف منه وانما لاننا نحاول أن نرى شيئين فى وقت واحد هما طرف الهوة الذى نقف عليه والهوة ذاتها . وعجزنا عن الجمع بين رؤية الاثنين هو السبب لهذا الدوار

ومما يدل على ذلك أن الذين يركبون الطيارات لا يشعرون بهذا الدوار لأنهم يحصرون نظرهم فى الارض فقط عندما يطلون من الطيارة

صحة الهمج

كتب الدكتور فان توردن من أطباء فينا مقالا بحث فيه عن صحة الهمج ولماذا هم يحتفظون بصحتهم ولا يمرضون على الرغم من القذارة العظيمة التى تلابسهم فى معيشتهم. وهو يعتقد أن هذه الصحة تعود الى مدى كبير الى انهم لا يستعملون الاسمدة فى زراعتهم ولذلك فان غلات أرضهم من الحبوب والبقول تحتوى على كميات كبيرة من اليودين والحديد وكلاهما يقوى الصحة. ثم هم أيضاً لا يستعملون الملح الا بكميات قليلة جداً فى طعامهم. والانسان المتمدن تنقص قدرته على المقاومة للامراض بتعاطيه كميات كبيرة من الملح فى الطعام

استفتاء المسنين

قام طبيب المانى هو الدكتور جريف باستفتاء ٢٨ رجلا وامرأة من المسنين يسألهم عن أحوالهم المعيشية وعاداتهم لكى يقف على الاسباب التى جعلتهم يعيشون الى ما فوق المائة من السنين

وأول ما صدمه من الحقائق أنه ليس بين هؤلاء الاشخاص واحد يمكن أن يعد من الاغنياء. ومعنى هذا أن الترف لا يساعد على التعمير. وقد عاش من هؤلاء ١٧ فى الريف و٨ فى المدن الصغيرة و٣ فى المدن الكبيرة

وليس بينهم واحد أدمن الشراب أو اقتصر على الخضراوات فى الطعام أو امتنع تماما عن تناول المشروبات. ومعنى هذا أن الاعتدال فى الشراب والطعام أساس التعمير

وقد ثبت أنهم جميعهم يكثرون من اللبن وخصوصاً لبن الماعز. ومن هذا العدد كان ٢٣ من النساء و٥ فقط من الرجال. وهذا يدل على أن حياة الجهد تنقص العمر لأن الرجال يجهدون أنفسهم أكثر من النساء

توابل كيماوية

صنع أحد الكيماويين اليابانيين مسحوقا جديداً استخرجه من بروتين القمح الذى يعالجه بعمليات كيماوية مختلفة الى أن تصير له رائحة الجبن وطعم اللحم. أما فى لونه وقوامه فهو يشبه الملح. ويمكن ذره على الخضراوات

امراض المتمدنين

انتشرت الحصبة فى القاهرة فى الشهر الماضى. وهذا المرض يصيب الاطفال عادة وقلما يكون مميتاً الا فى أوساط الفاقة حيث يضعف الجسم بسوء الغذاء والهواء. ولا يزال مكروب هذا المرض مجهولا لم يعزل الى الآن

وقد لوحظ أنه عندما يطرأ هذا المرض على قطر بكر من أقطار الهمج التي لم يدخلها قبلا تفشت نكايته في الاهالي . فقد دخل جزر فيجي فاصاب من السكان ١٥٠٠٠٠ مات منهم ٤٠٠٠٠ تقريباً

ومعظم الوفيات من هذا المرض في مصر تحدث من مضاعفاته التي تعقبه مثل النزلة الشعبية . ولا يعرف له علاج سوى الراحة ولزوم الغرفة مدة المرض وعقبه أياما

زيت كبد الكلاء

يعطى الان زيت السمك — الذي نعطيه لاطفالنا — للفراخ التي تربى في المفارخ . فقد وجد أنه يقيها من الامراض ويزيد نموها وقدرتها على تمثيل الطعام والسمن . وهذه الفراخ يمكن أن تعيش بلا ضوء . لأن هذا الزيت يعوضها منه . وكذلك لاتحتاج الى الاطعمة الخضراء

الارض وسكانها

تبلغ مساحة الكرة الارضية يابسة وماء ١٩٦ مليون ميل مربع منها الماء ١٤٠ مليونا واليابسة ٥٧ مليونا

ولكن هذه اليابسة ليست كلها صالحة لسكنى الانسان . فان منها ١٢ مليون ميل مربع من الصحارى الجافة في افريقيا وآسيا واستراليا لاينبت فيها نبات ولايعيش عليها حيوان . ومنها ١٠ ملايين ميل مربع من الصحارى الثلجية أي الارض الكاسية بالثلج عند القطبين وما حولها

فلا يبقى بعد ذلك سوى ٣٤ مليون ميل مربع نصفها لا يصلح للزراعة . أما لانه مؤلف من جبال وعرة أو أرض لا يبلها المطر الا قليلا جداً

فالجزء الباقي من الكرة الارضية الذي يصلح لسكنى الانسان الآن هو ١٧ مليون ميل مربع فقط . فاذا فرضنا أن كل ميل يمكن أن يقيت ٣٠٠ نفس فان العالم يمكنه أن يقيت ٥١٠٠ مليون نفس

وفي العالم الآن ٢٠٠٠ من السكان فقط أي اننا يجب ألا نخشى ازدحاما قبل أن نصل الى ٥٠٠٠ مليون نفس

ولكننا نبني هذا الحساب على فرض أن الاصول الزراعية المتبعة الآن ستبقى متبعة كما هي في المستقبل . أما إذا استطاع الانسان أن يهتدي الى مكتشفات أو مخترعات جديدة لاستخراج الطعام أو حتى العلف من الخشب أو صنع الاسمدة الكيماوية بطرق سهلة فان العالم يمكنه أن يستوعب من السكان ما لا نستطيع حصره أو توهمه الآن

حطب القطن

لما ظهر الحرير الصناعي خشي كثيرون أن يكون فيه القضاء على الحرير الطبيعي والقطن. ولكن اتضح بعد ذلك أنه لم يؤثر تأثيراً سيئاً في الحرير الطبيعي لأن الاغنياء الذين اعتادوا هذا الحرير لم يستبدلوا به هذا المخترع الجديد. أما القطن فانه لم يؤثر فيه ايضاً الا تأثيراً طفيفاً في الاصناف المنحطة

والآن يبدو من الاخبار الاخيرة أن الحرير الصناعي سيكون سبباً من أسباب الرواج القطن وليس من أسباب الكساد. فقد تبين أن احسن مادة يمكن أن يصنع منها الخلوز (الذي هو مادة الحرير الصناعي) هو حطب القطن

وعما قريب سنزرع القطن لالكي نجني منه وبره الابيض بل لكي نحصده كما نحصد القمح ونحمل حطبه الى المصانع فيهرس ويطبخ ويصنع منه الحرير الصناعي

الفيل الابيض

يقدس أهل سيام الفيل الابيض كما كان المصريون القدماء يقدسون العجل ويشترطون فيه شروطاً كما كان يشترط المصريون شروطاً في العجل أبيس

وأهم شرط يشترطه أهل سيام هو أن يكون الفيل أبيض. فيخرج الصيادون الى الغابات يبحثون عنه الى أن يهتدوا اليه. وقد تمر السنين دون أن يجدوا مطلبهم. فاذا وجدوه عادوا به الى بنكوك عاصمة سيام في احتفال عظيم حيث يستقبله الكهنة والملك وجمهور الناس. وعندئذ يحصرونه باصطبل هو في الحقيقة بهو مؤثث بأفخر الرياش

والفيل ليس أبيض ناصعاً وانما هو يضرب الى البياض. وعندما يكبر يزول بياضه حتى يستحيل سمرة تكاد تشبه اللون السائد في سائر الفيلة

المؤلفات الجديدة

حرب الغازات للاستاذ أحمد فهمى أبو الخير

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة صفحاته ٣٢ من القطع الكبير

هذه محاضرة ثمينة القاها الاستاذ أبو الخير قصد منها الى تقريب العلم من افهام الجمهور وقد سبق الى ألق محاضرات من هذا النوع حبذا لو جمعها ونشرها فى كتاب

وقد كان للغازات شأن كبير فى الحرب الكبرى . وكانت هذه الغازات أنواعا مختلفة منها مايسيل الدموع أو يزهق الأرواح أو يخنق بالادخنة الكثيفة مكان الجيوش . وقد تناول المحاضر هذه الأنواع بالشرح . ونحن ننقل عنه هذه النبذة المفيدة عن غاز الخردل . قال

« قد ينسى الطالب كثيرا مما يتعلمه فى المعامل الكيماوية اذا هو بعد التخرج لم يواصل الدرس والقراءة . ولكن يوجد غازان يذكرهما طالب الكيمياء دائما ولا ينساهما، وهما غاز الكلور وغاز الايدروجين المكبرت . وهو يكون سعيد الحظ أن سلم من استنشاق كليهما فلا تخنقه الأول ولا يتأذى بالثانى . وهو يستطيع أن يتصور أثر الاثنين اذا اجتمعا معاً دون أن تزول منهما صفات الايذاء بعدهم انما سقت هذا المثل لاقرب الى الاذهان اتحاداً كيماويا مثله ينجم عنه مايسمونه غاز الخردل ، وما هو بغاز وما يصنع من الخردل ، ولكن يمكن تحويله بسهولة الى غاز . وزيت الخردل هذا تم صنعه لاول مرة كيماوى انجليزى اسمه جثرى سنة ١٨٦٠ ، ثم استكشفه من جديد الكيماوى الالمانى فكتور ماير سنة ١٨٨٦ . ولكنه وجد أنه خطر فأحجم عن متابعة البحث فيه . ولم يعن به بعد ذلك أحد ؛ لانه لم يتوقع أحد منه فائدة ما . لهذا ظل مهملا هو وغيره من المركبات العضوية التى تبلغ الالاف عدا والتى لم تستخدم بعد استكشافها فى شىء ، واكتفى الكيماويون بذكره فى قاموس يلشتاين الكيماوى . ولكن فى ١٢ يوليه سنه ١٩١٧ قذف البريطانيون المسكرونين ايبر برشاش هذه المادة المؤذية الفتاكة . وكان نجاحها عظيما جدا بحيث جعل الالمان جل اعتمادهم عليها ، وقام الحلفاء على الاثر باستعمالهم أيضا . ويقال أن الالمان أصلوا الحلفاء فى يوم عصيب من أيام شدتهم بطلقات قنبلة تحمل ٢٥٠٠ طن من غاز الخردل هذا

« بيد أن صنع مثل هذا المركب الخطر القتال بمقادير وافرة كان من الاعمال الصعبة التى أمرها على عاتق الكيماويين فى جميع الدول المتحاربة ، وقد نجح الكيماويون فى حل المعضلة . وخامات هذا المركب هو الكلور والكحول والكبريت » .

خفقات أو مناجاة الأجنحة تأليف

الاستاذ أبو السعود ابراهيم

طبع بمطبعة أبى الهول بالقاهرة صفحاته ٦٤ من القطع المتوسط

هذه باقة جميلة من الاشعار للشاعر الاديب صاحب مجلة الفضيلة . وقد تناول فيها كثيراً

من المعاني الغزلية في ألفاظ عذبة . والمؤلف يميل كثيراً الى المعاني العربية المألوفة في قصائد العرب مثل قوله :

ما بين وصلك والورود ... إلا وفاءك بالعهود
وفي الغريم . . . عهوده ... ماذا جنيت من الصدود ؟؟
يامن لعزة حسنها ... عندي لها وله يسود
حسبي وحسبك من أسى ... يازهرة بين الورود

• • •

يامن تسمر حبها ... وغدا له قلبي وقود
خـام أتفدك الوفا ... ء وابتني صدق الوعود ؟؟
والى متى . وأنا الفتى ... أبكي وأرسف في القيود
وعلام هانيك القطيـ ... ـعة . والليالي لا تعود !
ان كان لي ذنب لديـ ... ـك فقطعي تلك الكبود
وتعتـــــــى وتدللي ... وتحكمي . وأرضى الحسود

• • •

أجد السجود قضيـــة ... لرضاك لو جاز السجود
ماذا وراء الشرك إلـــا ... بنت الكرام بما أجود ؟؟
يارحمة . أمثالها ... في كل معترك تسود
هاتي يديك . . فادركي ... ولك اغنا . ولي السعود
وتناسي عن ذل الحسا ... ن فليس في الدنيا خلود

• • •

أنا ما بقيت . فلن أرى ... مثل الورود على الخدود
في كاعب رسمت على ... قلبي وولت لا تعود

المعرفة للاستاذ عبد العزيز الاسلامبولي

مجلة شهرية صفحاتها ١٢٨ من القطع الكبير

وعنوانها شارع بيت القاضي رقم ٥ بالقاهرة

صدر العدد الاول من هذه المجلة وبها مقالات دبجتها براعة الاساتذة الدكتور منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق وفريد وجدي وشفيق باشا وغيرهم من كتابنا المعروفين . وهي في حجم هذه المجلة وثمن العدد ثلاثة قروش

وقد مهد صاحبها الاديب للعدد الاول بكلمة قال فيها عن أغراض المجلة :

هذا لانود أن نحمل أنفسنا عهدا، أو نقيد صحيفتنا وعدا. وانما نود أن يرى القراء بأنفسهم مجهودنا، ويحققوا باختبارهم منهجنا. إلا أنا نرى — خشية اتهامنا بالمبالغة — أن نذكر لقرائنا، طرفا من أهم أغراضنا

وإذن فلنقرر بأن من أهم أغراضنا: ربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا. ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانيا وذلك بالعمل على نشر معارف الاول في الثاني. فلايزال الشرق مبعث الحكمة والنور، ومهبط الوحي والالهام، وأب العلم والمعرفة؛ فمن شاء فليؤمن؛ ومن شاء فليكفر

كذلك نعمل على استخلاص النافع لنا من علوم الغرب واستصفاء مايصلح لنا من مدنيته، لنقوم بها بنيان مدنيتنا فالحق اننا لانستطيع أنكارا للغرب من مدنية وعلم وحضارة

وإذن فستكون (المدينة) اباً المعارف العامة وهي تود لو يحقق لها الزمن ان تكون مركزا لنشر المذاهب الصوفيه السامية؛ وبعث الفلسفة الاسلامية العالية؛ واحياء الحكمة الشرقية القديمة، وبناء الادب العربي وتجديده واذاعة الفن السامي وتنقيته. وان تكون معولا هداما؛ لبناء المذاهب المادية الالحادية ومبضعا دقيقا لبتر الفاسد من مذهبي الثيوسوفية واستحضار الارواح وغيرهما من المذاهب المنتشرة في أوربا وأمريكا. ومصلحا مقوما للغلطات بعض المستشرقين؛ الذين وقعوا في أخطاء علمية. وتخيلوا فروضا وهمية: فيما كتبوه عن الشرق وعلومه. ولسنا بهذا منكرين لهم فضلا، أو جاحدين لهم نعمة: وانما الحق يقال فليس الدخيل كالاصيل: ورب الدار أدرى بما فيها

ونحن نرجو ان تلقى هذه المجلة رعاية من القراء حتى تثبت وتستطيع ان تقوم بالفائدة التي ينشدها صاحبها وكتابها

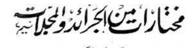
مجلات مدرسية

شاع في مدارسنا انشاء المجلات التي يشترك الطلبة في تحريرها او يستقلون به. وفي هذا العمل ما ينبه اذهانهم الى الصحافة والتحرير ويحثهم على اكتساب المعارف واحسان الاسلوب. وبين ايدينا ثلاث مجلات مدرسية هي

مجلة رقي المعارف فانها تصدر عن هذه المدرسة المشهورة في ١٧٨ صفحة كبيرة حالية بصور المعلمين والطلبة. ومن احسن ما فيها صحائف الشرف التي تحتوي على صور الطلبة الذين حازوا الاولية في الترتيب. وقد تناول الطلبة طائفة حسنة من الموضوعات تكلموا عنها في اختصار

ومجلة مدرسة الاقباط الكبرى بالقاهرة تحتوي على ١٣٨ صفحة وبها مقالات مختلفة مختصرة في العلوم والاخلاق والاداب. وقد ازدانت المجلة بصور الكتاب والمتفوقين في المدرسة

ومجلة المدارس المرقسية بالاسكندرية وهي صغيرة تبلغ صفحاتها ٤٠ فقط وهي مؤلفة من مقالات للطلبة والمعلمين



اليهود في مراكش

عن الرابطة الشرقية : اعتنق الاسلام في مكناسة شاب اسرائيلي اسمى نفسه سعيدا . وهذا حادث يقع مثله في كل زمان ومكان ولكن المهم في هذه الحادثة ان هذا الشاب لقى من جراء اعتناقه الدين الاسلامى محنا وويلات نلخصها فى أنه لما صمم على الاسلام أخبر والديه بذلك فقامت قيامة اليهود كلهم وأخذوا يستميلونه بكل الوسائل . ولما لم يستطيعوا ان يردوه عن دينه ساقوه الى من يجبره على الرجوع اليه ولكن آمالهم خابت جميعا . فما علم القوم ان الشاب بلغ أشده حتى صرح أمامهم بأن له مل. الحرية فى اختيار الدين الذى علمو له عملا بمبدأ حرية الأديان . وبعد أن طردهم من مكتبه قصدوا الى الوالى الأهلى متهمين الشاب باعتناق الاسلام والسرقة معاً وأحضروا شهودا كلهم من اقاربهم فحكم عليه بالسجن خمسة عشر يوما غير مراع حالته الصحية ولكن أثر دخوله السجن قيض الله له طبيب السجون فأنقذه وأمر بنقله الى المستشفى فلقى من مستخدمى المستشفى والمرضى الموجودين هناك من العطف والحنان ماأنساه مرارة الماضى . ولما قضى مدة اعتقاله وخرج أخذ بعض الشبان المتنورين العاملين على نشر فضائل هذا الدين فى هذا البلد يفقهونه بالاسلام وكيفية قيامه بشعائره فلم ير من سعيد المسلم إلا صفاء النية والاخلاص فى العمل والاقبال على أداء الفرائض فى أوقاتها فانك لاتكاد تدخل المسجد الأعظم فى أوقات الصلاة حتى تجده من المسارعين اليها

استخراج غذاء المواشى من الاخشاب

عن نور الاسلام : جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية ان الاستاذين « فلستتر » و « زشمايستر » نجحا بعد تجارب كبيرة فى اختراع طريقة فنية يمكن بواسطتها تحويل الاخشاب عديمة القيمة الى غذاء للمواشى

يؤخذ ذلك الخشب ويجزأ الى قطع صغيرة ثم يوضع فى اوعية كبيرة مع « حمض الهيدروكلوريك » أى حامض الملح المركز . فتنفصل مادة الخلايا الخشبية وتتحول الى مادة سكرية ويتكون حامض الخل الذى يمكن الانتفاع به بعد تنقيته فى الاغراض المختلفة

أما « حامض الهيدروكلوريك » المستعمل فى العملية فيمكن استعادته كاملا وذلك بالتقطير بواسطة الزيت الساخن والهواء الحار

أما المادة السكرية المكتسبة فهى التى تستعمل علفاً للمواشى وهى ذات قيمة غذائية كبيرة فضلا عن أنها تعد غذاء شهيا للمواشى

وقد دلت التجربة على أنه يمكن استخراج ٦٦ كيلو جراما من هذه المادة السكرية و٣٠ كيلوجراما من المادة المسماه « ليجنين » التى تضغط فى شكل قوالب وتستعمل وقودا للتدفئة و ٤ كيلو جرامات من حامض الخل وذلك من ١٠٠ كيلو جرام من الخشب

هذا إلى أنه يمكن تحويل المادة السكرية المكتسبة إلى مواد أخرى

أسرة مصرية فى زى مصرى

عن الجديد : لاريب أننا بحاجة الى أن ينشأ أولادنا نشأة وطنية صالحة لكى يتسنى لنا فى العصر القادم أن نحقق آمالنا فى الحرية وفى اصطناع حياة صحيحة الاسس قويمة البناء . فان الجيل الحاضر على ما أظهر فى كثير من المواقف من آيات البطولة مايزال جيلا غارقا فى الاضطراب ، ضعيف الرأى غير ثابت العقيدة لا فى الامور الوطنية وحدها بل فى أمور الحياة كلها ، إذ تحتاج الحياة الى المغامرة والاقدام ، وهما صفتان نعترف بكل أسف أنهما تنقصان طائفة كبيرة من المصريين

نقول هذا بمناسبة الصورة التى ننشرها مع هذا الكلام فهى تمثل أسرة مصرية صغيرة قد اتخذت ثيابها من أقشة وطنية . فترى فى الوسط عبد الغنى افندى محمد عبد الباقى الكردى الطالب بمدرسة الجيزة الثانوية وقد جلس اخوته الصغار حواليه

فهؤلاء الاخوة جديرون بتحية مجلة « الجديد » بل بتحية كل مصرى مخلص فهم يتخذون لباساً وطنيا فلا تعلو أجسادهم غير أنسجة مصرية ولا ينتعلون فى أقدمهم غير حذاء صنعه مصرى . وهم يرون ان هذا العمل منهم عمل وطنى جليل حقيق بان يخلد فى صورة تبقى على مر السنوات

ونحن محتاجون الى هذا . . . بل فى أشد الحاجة اليه . . فهؤلاء الاشقاء مازالوا فى الطور الاول من الحياة ، فاذا نشأوا هذه النشأة الوطنية الصحيحة وعلمهم آباؤهم منذ الصغر أن يمجدوا الثوب الوطنى ، وألا يدعوا أموالهم تتسرب الى غير الجيوب المصرية — إذاهم نشأوا على هذه العقيدة الثابتة ، فلا نشك فى أنهم سوف يصبحون فى المستقبل القريب دعامة قوية من دعائم تحقيق آمالنا فى الحرية والحياة

نحن اذاً بحاجة الى مثل هذا الاقدام ، لأن اقبال الصغير على ارتداء الثوب الوطنى وتلقينه منذ الحداثة أن يمجد الثوب الوطنى — كل هذا يبث فى نفسه عقيدة تستحق الاحترام ، هى

عقيدة تنفيذ الرأى الصالح ولو لم يكن أنصاره بالكثيرين . وهذا هو ما فعل هؤلاء الأحداث المخلصون ، فهم لايترددون فى ارتداء الثوب الوطنى ، على حين ان الغالبية الكبرى من المصريين لاترتديه وهذا خلق يعلمهم مزية المغامرة والإقدام

زيت بذر القطن

عن مجلة رق المعارف : يستخرج الزيت من بذر القطن كما يستخرج من الزيتون فيستعمل فى الطهى ويقوم مقام السمن لا سيما فى طعام اليهود فيمزجون زيت القطن النقى بشحم البقر فتتكون منه مادة كالسمن تستعمل فى طهى الطعام

ويصنع منه الصابون وتحفظ به الأسماك . ويستعمل فى الاضاءة وهو أحسن من زيت الزيتون لأنه إذا أضيف عليه البترول زاد استعماله وأعطى لهبا جميلا . ولا يستعمل زيت القطن فى تنظيف الآلات لأنه يجف بسرعة ولا يستعمل فى الدهان ولا فى معالجة الجلود . غير أنه إذا دهن به الشعر قام مقام (الفازلين) فيكسب الشعر لمعانا . ويستعمل بدل زيت السمك فى الطب

أما الكسب الناتج من البذر فانه يعمل علفاً للمواشى ويستعمل قشره وقودا للالات التى تستعمل فى استخراجه . والرماد الباقى منه سماد جيد للأرض وليس استخراج زيت القطن سهلا كاستخراج زيت الزيتون إذ أن طريقته معقدة عسيرة

وتبنى المعاصر بقرب الأراضى التى يزرع فيها القطن حتى لا يتعب فى النقل . ويوضع البذر فى غرابيل اسطوانية لينقى من الرمل والغبار ثم ينقل إلى غرابيل أخرى لتنقى من الحجارة أو قطع الخشب التى تكون موجودة فيها ثم تنقل إلى غرابيل أخرى لتنقى مما يخالطها من القطن والقشور

ولا تخلو البذور من شىء من هذا القطن لاصق بها فينزع بمحالج كثيرة المناشير ثم تنقل الى آلة بها عدد كبير من السكاكين فتكسرها وتنزع القشرة عنها . ثم يؤخذ بعض هذا القشر لادارة الآلات التى تستخرج الزيت والبعض الآخر يعمل منه العلف

أما لب البذر فيسحق جيدا ويسخن قليلا لكى يسهل استخراج الزيت منه ثم يوضع فى أكياس جوانبها من الخشب ومن شعر الخيل ويضغط بمضاغط قوية — ويخرج بعد ذلك الزيت نقيا قابلا للاستعمال

ويعصر كل الزيت من الكسب فى مدة ربع الساعة من ابتداء ضغطه . والكسب الناتج يكون متصلبا ذا لون أحمر تقريبا

وهو يفوق القول فى فائدته للحيوان إذ أنه يتكون منه اللحم والدهن . وتوضع الصودا الكاوية على الزيت ويحرك جيدا فتتكون رواسب يعمل منها الصابون — ويمكن الاستغناء عن زيت الزيتون وزيت النخيل والاستعاضة عنهما بزيت القطن

فهرست

عدد يونية سنة ١٩٣١

اشتراك المجلة الجديدة

فى مصر : ٥٠ قرشا فى العام

فى الخارج : ٦٥ قرشا

عنوان المجلة — ١٤٩ شارع الملكة نازلى [illegible] تليفون [illegible]



السنة الثانية — أول يونيه سنة ١٩٣١

العدد السابع — المجلد الأول

المجلة الجديدة

(لصاحبها ومحررها سلامه موسى)

الى القارىء

بما أننا الآن فى منتصف سنة المجلة التى ستبتدى فى زى جديد فى أول نوفمبر سنة ١٩٣١ وبما أنه لدينا كية من كتب الهدايا نريد أن نتخلص منها بأسرع وقت، فلذلك نرى أنه يمكننا أن نعرض الاشتراك فى المدة الباقية هكذا :

المجلة الجديدة

ستة أشهر من أول مايو إلى آخر اكتوبر مع الكتب الثلاثة الهدايا بمبلغ ٢٥ قرشاً فقط داخل القطر وسبعة شلنات خارجه

وهذه الكتب هى

التربية والأخلاق للاستاذ يعقوب فام

ضبط الحبل ومنع التناسل للدكتور كامل لبيب

فى الحياة والادب للاستاذ سلامه موسى

وثمن هذه الكتب الثلاثة هو ٣٠ قرشاً : فالمشترك فى المجلة الجديدة لستة أشهر يمكنه أن يحصل عليها بخمسة وعشرين قرشاً فقط أى أقل من ثمنها الذى تباع به فى المكاتب. ولما كانت كية هذه الكتب قليلة فاننا سنختص بالتفضيل أولئك الذين تكون لهم الاسبقية فى طلب الاشتراك

العنوان : ١٩٤ شارع الملكة نازلى مكتب بريد الفجالة بالقاهرة

حديث مع مربية مصرية

لانعدو الحقيقة إذا قلنا أن السيدة نبوية موسى أقدر مصرية متعلمة الآن تمارس مهنة التعليم فى مصر. تعلمت وتثقفت فى أوربا ثم عادت بعد ذلك فتولت المهمة الشاقة، مهمة أعداد الناشئات. حقبة طويلة، تناهز ربع القرن، تقلبت فى أثنائها فى مناصب كثيرة فى التعلم حتى وصلت إلى أعلاها وهو منصب كبيرة المفتشات بوزارة المعارف

وقد أكسبتها هذه السنون الطويلة، واطلاعها الواسع، دراية وخبرة كبيرة بشؤون التعليم خاصة، وشؤون الفتاة والمرأة عامة. وهى تنشر آراءها بوضوح، وبلا مواربة فى الصحف والمجلات، هذا فضلا عن حضورها المؤتمرات الدولية التى تعقدخصيصاً للبحث فى شؤون المرأة، وتعلن فيها آراءها، وهى لاتبالى، فى سبيل نشرها، سواء ألحقها شرأم خير، ذمت أو حمدت، لانها تدعو ماتدعو اليه بوحى الضمير

وهى من أسرة كريمة، فوالدها كان ضابطاً قديماً، وكان شقيقها قاضياً أمضى فى ارسى القضا. أربعة عشر عاما. والسيدة أول مصرية تحمل وسام النيل كالرجال

وقد قصدنا اليها فى مدرستها، بالعاصمة بالقاهرة، وطلبنا اليها أن تحدثنا عن الفتاة المصرية فتفضلت وأفضت الينا بحديث حلو جذاب جرى.

قلنا:

س: هل المدى الذى بلغته حركة تعليم الفتاة فى مصر يدعو إلى التفاؤل او الى التشاؤم، ولم؟

ج: ظلت حركة تعليم الفتاة فى مصر متأخرة، لاتتقدم. وهذا التأخر قد يكون مفتعلا مغايراً للطبيعة

ففى سنة ١٩٠٧ مثلا دخلت أول فتاة مصرية للشهادة الثانوية مع البنين، ونجحت. وكان ينتظر أن تتبعها بعد ذلك الكثيرات، ولكن الحركة أوقفت بأمر من وزارة المعارف يحرم على الفتيات دخول الامتحانات العامة. فبعد أن كانت الفتاة تدخل مع الفتى فى امتحان الشهادة الابتدائية من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٣ ابتدأت الوزارة تجعل بين الفتاة والفتى فروقا فى الامتحان. ثم انتهت فى سنة ١٩١٩ الى أن تجعل لها امتحانا خاصاً. ثم عادت بعد ذلك فصرحت لها بالدخول مع الفتى فى امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٢٧. وفى تلك

السنة نفسها نالت بعض التلميذات شهادة الدراسة الثانوية . فلم تدخل الفتيات امتحان الدراسة الثانوية من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٢٧ ، وهى مدة طويلة تدل على أن تعليم البنت كان يدفع عمداً إلى الوراء . أما من ابتداء سنة ١٩٢٧ إلى الآن فان سير تعليم البنات يخطو فى سبيل التقدم خطوات واسعة تنبىء بحسن المستقبل لو ترك ونفسه ، حسب عوامله الطبيعية . على أنه قد يخشى الانسان أن يدفع إلى الوراء مرة أخرى . أما اذا سار فى سبيله الطبيعى فانه ينبىء بمستقبل باهر للبلاد

س : هل تعتقدين أن الفتاة يجب أن تختلف فى تعليمها عن الفتى ، وما أوجه الاختلاف؟

ج : أن الفتاة يجب أن تتحد فى الثقافة العامة مع الفتى لتلائمه مشربا وميلا فيكون منهما زوجان متحابان ، يميل كل منهما الى معاشرة الآخر ومحادثته ومعاونته ، لأن اختلاف الثقافة العامة ، كان من أثره فى ماضيها القريب ، أن أعرض الرجال المصريون عن الزواج بالمصريات ، وأن أصبح الرجل لايجد لذة ولا سروراً فى محادثة زوجته فيهرب منها الى المنتديات والقهوات

وليس لهذا علاج سوى اتحاد الثقافة العامة للجنسين . أما بعد الثقافة العامة ، أى بعد انتهاء التعليم الثانوى ، فليستعد كل منهما لما يريده . وكما أن المهندس والطبيب والقاضى لايختلفون فى ثقافتهم العامة مع اختلافهم فى أعمالهم فكذلك يجب الا تختلف الفتاة عن الفتى الا بعد تلك الثقافة

س : ما رأيك فى التعليم المشترك (الفتاة مع الفتى) وهل يمكن أن ينجح فى مصر؟

ج : انى اعتبر التعليم الموجود الآن مشتركا ، مادامت المناهج للفتاة والفتى واحدة فى التعليم الابتدائى والثانوى ، ولا فرق أن تكون الفتاة فى فصل واحد مع الفتى أو فى فصل آخر ، مادام هذا التعليم واحداً ، وما دام لكل منهما مدارس تقوم بتربيته

وفى كثير من البلاد الأوربية نفسها لاتختلط الفتاة مع الفتى الا فى الكليات لصعوبة ايجاد كلية لكل نوع منهما . أما فى التعليم الابتدائى والثانوى فليس هناك مايدعو الى ذلك

ولا يرى علماء التربية فائدة ولا ضرراً من اجتماع الفتى فى فصل واحد مع الفتاة

وما دامت مدارس البنات الآن منفصلة عن مدارس البنين فلا معنى للدعاية باختلاطها مادام لايعود على التعليم معنى من هذا الاختلاط

وقد يكون بقاء المدارس على ماهى عليه الآن خيرا مما لو اختلطت

س : هل تعتقدين أن أخلاق الفتى تسمح الآن بأن يجالس نساؤنا رجالنا ويحادثهم كما يجرى بين الأوربيين

ج : أن رجالنا ونساءنا لايقلون عن رجال الأمم الأخرى ونسائها ، فاذا جاز للنساء أن يحادثن الرجال فى أمة من الأمم جاز للأمة المصرية ماجاز لتلك الأمة

وان كنت أنا شخصيا أرى أن تغالى الأمم الأخرى فى تبرج النساء وخروجهن قد أدى الى اخطاء ليس لنا نحن أن نقع فى مثلها بل علينا أن نتوسط . فتخرج السيدة وتجالس الرجال للعمل فقط لا للهو أما اذا لم يدعها العمل الى ذلك فلا معنى لجلوسها على قارعة الطريق اذ تعرضها للرجال بلا سبب

ومن رأيى أن الفتاة أو السيدة أقوى أرادة وأبعد عن الشهوات من الفتى ، ولهذا لايجب أن تفكر فى أن تجارى الرجل أو تساويه فى ميوله الى اللهو ، بل يجب أن تترفع عن مجاراة الرجال فى هذه الأشياء . فان خرجت فللعمل تخرج . أما المسامرة واللهو فأعمالها ومنزلها أحوج الى ذلك الوقت الذى يصرف فى مثل هذا

واذا كنا ننتقد فى الرجال الميل الى اللهو ، فليس لنا أن نطلب وندعو النساء الى مجاراتهم فى مثل هذا

س : هل الفتاة المتعلمة فى مصر تمتاز فى معيشتها وعلاقتها الزوجية امتيازاً واضحاً عن المرأة الأمية؟

ج : لابد أن يكون هناك فرقا بين معيشة المتعلمة وأخلاقها الزوجية وبين غيرها من الجاهلات . وان كان هذا لم يظهر فى الأمة المصرية بوضوح الى الآن فذلك يرجع لأمرين : أولهما أن المتعلمات تعلما صحيحاً ، اللاتى يصح أن يميزن عن غيرهن ، قليلات الآن . فلا يكاد الانسان أن يعرف بين المتزوجات المتعلمات تعلما صحيحا ، أكثر من واحدة أو اثنتين

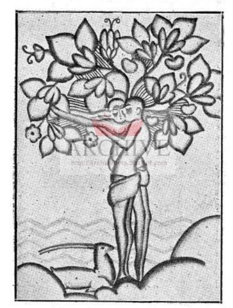
أما من يسميهن العامة متعلمات لأنهن يعرفن القراءة والكتابة فاولئك لافرق بينهن وبين الجاهلات . أما السبب الثانى ، لعدم ظهور ميزة المتعلمات فناشىء من عدم العناية بالأخلاق فى المدارس ، فتعتاد المتعلمة أخلاقا شاذة يأباها الكمال والشرف ، وبذلك تنحط قيمتها فى حياتها الزوجية ، خصوصا اذا كانت من أسرة منحطة ليست عريقة فى التهذيب والأدب

س : نلاحظ أن نساءنا بالمقابلة الى نساء الأفرنج النازلين فى بلادنا سمينات ، فهل تعدين ذلك عيبا ، أم لا ، وما هى معالجته ؟

ج : لست أعتقد أن المصريات أكثر سمنا من غيرهن ، وانما هو خيال تطرق الى بعضنا فظنناه حقيقة . والواقع أن كثيراً من نساء الامم الاخرى يفقن المصريات فى السمن ، ولا تمتاز أمة بنحافة نسائها الا الأمة الانجليزية ، وذلك لكثرة اعتيادهن اللعب والمشى وخفة غذائهن ، وان صح الوهم القائل بأن المصريات اسمن من غيرهن ، فلا يرجع ذلك الا الى البطالة وعدم المشى

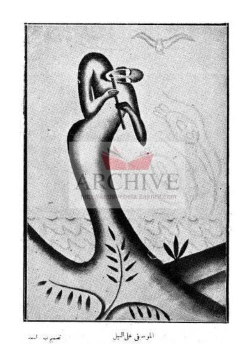
وديع

ثلاث صور للرسام. ب اسعد



فلسفة الحب

تصميم ب. أسعد



الموسيقى على النيل

تصميم ب. اسعد



مدى البصر

تصميم ب. أسعد

مدرسـة لتعليم النجاح

المثل الأعلى عند الامريكيين هو النجاح

وفي هذا السبيل – أي تحقيق النجاح – يشتغل علماء السيكلوجية يبحثون عن الاسباب النفسية للفشل وكيف تعالج . وكلمة « النجاح » تعنى أشياء كثيرة ولكنها عند الامريكي العادي تعنى اقتناء الثروة

وقد رأى الاستاذ هدوف أن يبحث عن عوامل النجاح من هذه الناحية ثم اسس مدرسة لتعليم الطلبة تلك المبادىء التي تعينهم على اقتناء الثروة وايضاح أسباب الفشل التي يجب عليهم أن يتجنبوها

وقبل أن نشرح برنامج هذه المدرسة نقول انه منذ سنوات عمد معهد كارنجي الى بحث أسباب النجاح وقام باحصاء كبير بين الناجحين في العالم المالي في الولايات المتحدة فوجد أن النجاح يعزى منه ١٥ في المائة الى المعارف الفنية و ٨٥ في المائة الى صفات انسانية اهمها تلك الصفات التي تتعلق بالمعاملة . ومعنى هذه النتيجة المدهشة أن الجامعة لا تفيد الطالب من حيث تحقيق نجاحه الا بمقدار ١٥ في المائة أما الباقي فيتعلق بصفاته الشخصية

وما هي هذه الصفات الشخصية ؟

كلنا يعرف كيف يمتاز بعض الناجحين بالدماثة ونظافة الهندام وبشاشة الوجه والحرص على الملاطفة واحترام شخص المخاطب ونحو ذلك من الصفات التي تجعل لهم في نفوسنا مكانة مقبولة أن لم تكن محبوبة

وهذه الصفات هي التي اسست المدرسة من أجل تحقيقها . والمدرسة لا تحتوى على اكثر من بضع محاضرات يتلقاها الطالب . ثم دروس في تحليل النفس أي كيف يحلل نفسه لكي يعرف أغلاطه . وعندما اسست هذه المدرسة توافدت عليها الطلبة من الاطباء والمحامين والتجار الذين لم يلقوا النجاح المنتظر من كفاءتهم . فهؤلاء جميعهم حائزون على المعارف الفنية التي كان يجب أن تكفل نجاحهم ولكنهم مع ذلك غير ناجحين

وأول خطوة يخطوها الطالب ، بعد أن يسمع بضع محاضرات ، تنحصر في أن يغرس في ذهنه قيمة الشخصية وكيف يجب عليه أن يظهر بأحسن مظهر يأخذ العين بهيئته ومسلكه وهندامه . والخطوة الثانية هي اعطاؤه قائمة تحتوى على طائفة من الاسئلة عليه أن يجيب عليها . ثم تأتى

الخطوة الثالثة وهى تنحصر فى حديث أو احاديث تتم بينه وبين الاستاذ الذى يكون قد قرأ اجاباته على الاسئلة السابقة. وهنا يأخذ الاستاذ فى نقد الطالب ويلاحظ مايراه من النقص فى فى ملابسه وهل هو كريه النفس أو حسنه وطريقة كلامه واشاراته وماعنده من حياء وصمت يدلان على احجام فى النفس ونحو ذلك

وكل طالب يعرض على اللوحة السينمائية قبل أن يدرس شيئاً فتسجل له حركاته وهيئته واشاراته. فاذا أتم دروسه عرض نفسه مرة أخرى على اللوحة السينمائية ليرى مقدار ما أصاب من التحسن فى شخصيته. ويقال أن بعض الطلبة دهش للاغلاط الواضحة فى مسلكه عندما رأى نفسه يتكلم ويشير ويعامل غيره فى اللوحه السينمائية. وهذا العرض مفيد لأنه يريه نفسه كما يراه غيره ولذلك سرعان ما يعالج نقائصه

ومما وجد اساتذة هذه المدرسة من الاجابات التى جمعوها على الاسئلة التى وجهوها الى الطلبة أن كثيراً من الفشل يعزى الى « مركب النقص » أى أن الطالب يشعر فى اعماق نفسه بالعجز عن القيام بعمل ما. ولهذا الشعور أسباب قد ترجع الى أيام الطفولة وبعضها يرجع الى حوادث معينة وعادات متأصلة أيام الشباب

فهذا رجل يقعد صامتاً مستكيناً يسمع المحاضرة بشفتين مطبقتين. وكل مظهره يدل على أنه يكاد يعتذر عن وجوده. ومثل هذا الاحجام لايعمل للنجاح. وعند سؤاله أو بالاحرى استجوابه عرف أنه تزوج امرأة متعلمة حائزة لشهادات جامعية وأنه يشعر بالخجل كلما اجتمع معها أمام الضيوف لأنها تأخذ الزعامة وتكون لها الكلمة. واندس فى نفسه الشعور بالخجل حتى عم جميع أعماله. وبعد قليل من المناقشة مع استاذه استطاع أن يعرف السبب لاحجامه وصمته. ودعيت زوجته وأشير عليها بما يخفف من خجله وانفتح طريق النجاح أمام الرجل

وشاب آخر جاء يشكو فشله وأنه قليل الثقة بنفسه. فلما سئل عن مكان عمله اجاب بأنه يعمل فى حانوت أبيه. وبعد حوار قصير اتضح للاستاذ أن هذا الاب يحب ابنه كثيرا وهو لذلك يلومه كثيرا ويبالغ فى لومه على أتفه غلطة حتى اعتقد ابنه انه لايصلح لشىء. ونصح له الاستاذ بأن يترك حانوت أبيه ويعمل فى مكان آخر. ودهش الشاب بعد ذلك لنجاحه العظيم لانه لم يجد عند رئيسه الغريب هذا القلق العظيم الذى كان يبديه والده نحوه حباً واشفاقا والذى كان يوهمه بأنه عاجز لا أمل له فى النجاح

والخلاصة أن النجاح يعزى الى الشخصية اكثر مما يعزى الى المعارف الفنية. ويجب على كل من يطمح اليه أن يعمل على ترقية شخصيته حتى تترك أحسن الاثر فى نفوس من يعاملهم

حديث بين تاجورى وورولان

لما كان تاجورى الاديب الهندى المعروف فى أوربا منذ أشهر زار الاديب الفرنسى رومان رولان فى جنيف وانعقد بينهما حديث نقله أحد الحاضرين بالحرف . ويرى القارى ترجمته هنا

ورومان رولان هو أديب فرنسى معروف يدعو الى السلم ويدرس شئون الهند وله كتاب شائق عن غاندى الزعيم الهندى

• • •

رومان رولان

تاجورى: هل تظن أن مدينة جنيف ستقوم بدور هام فى عالم العلاقات الاممية ؟

رولان : قد يكون ذلك . ولكن يتوقف شىء كثير من هذا على عوامل لا شأن لجنيف فى التسلط عليها

تاجورى : أرى أن عصبة الامم انما هى واحدة من القوى المتعددة العاملة هنا . وليست هى الآن افعل هذه

القوى فى تنقيح العلاقات الاممية . وقد يمكن لهذه المنصة أن تكون فى المستقبل قوة تعمل لايجاد الوفاق بين أعضاء العالم السياسى . ولكنى أنا كبير الايمان بتلك الجماعات الاممية الاخرى بل بالافراد الذين يعملون هنا فى هذه المدينة . واعتقد أن هؤلاء الافراد والجماعات سيؤسسون فى جنيف مركزاً للنشاط العالمى الذى سيؤثر ويوجه سياسة العالم فى المستقبل

رولان : أن لجنيف حقاً وفضلا على العلاقات الاممية . فقد عاشت قروناً وهى مركز لحسن التفاهم . وبالطبع كان أساس هذا التفاهم دينياً . ومما يدهشنا أن هذه المدينة الصغيرة قد استطاعت أن تدفع عن نفسها اعتداء الكاثوليك وعظماء الامراء الذين كانوا يعتبرون مذهب كالفن قذى فى عيونهم . أما العصر الحديث فقد قامت مجهودات رائعة فى جنيف ترمى الى التفاهم الحسن بين الامم . وفى مدة الحرب الكبرى حاولت بعض الشيع الدينية من الصوفيين والبهائيين أن تلتقى فى جنيف وتفاوض مندوبى الامم المتحاربة فى شأن انهاء الحرب

تاجورى : أن معالجة الظلامات والخلافات الاممية عن طريق الاتفاق المتبادل بين الامم هى فى الارجح أحسن تراث ورثته جنيف . وهنا نجد على الدوام روح الوفاق والمزاملة

رولان . كأنى بالعالم وقد سئم من المجادلات السياسية وكأننا نشعر بالحاجة الى أن ننظر نظرة روحية سامية . وفى امريكا الشمالية حيث تصادم القوميات والديانات وحيث أدى اصطدامها الى الخراب نجد الآن عدداً كبيراً من الناس ينظر الى الشرق ينتظر منه رسالة . وهم يعتقدون — وأنا اظنهم مصيبين فى اعتقادهم — أن الهند هى القطر الذى يستطيع أن يقدم للعالم هذه الرسالة . وقد لقيت مؤلفاتى عن الهند ورجالها حماسة كبيرة من جمهور القراء لم أكن انتظرها . وهذه الحماسة تدل على أن أية محاولة شريفة يراد بها شرح الحكمة الروحية الهندية لا تمس الاذهان الغربية العاطفة فقط بل هى ايضاً تبلغ قلوب السياسيين المطلعين وتؤثر فيهم

تاجورى : أنه لمن العجب أن تكون الهند الامة الوحيدة التى زودت العالم فى القرن التاسع عشر بأول رجل امى . اعنى به رام موهان روى . فقد كان هذا الرجل شغوفاً بالحقيقة نشأ فى أسرة سنية من أسر البراهمة ولكنه تملص من جميع القيود والشعائر . وقد درس البوذية ورحل الى تبت لهذه الغاية ودرس العبرانية واليونانية والعربية والفارسية والانجليزية والفرنسية وساح كثيراً فى أوربا ومات فى بريستول بانجلترا . ولم يكن يهمه من الحقيقة الروحية تلك الشعائر التى تؤدى فى المعابد ولم يكن يعتقد أن هذه الحقيقة ما يجوز أن يسام الناس الايمان به على الرغم منهم . وانما كان يعتقد أن هناك رابطة روحية تربط جميع البشر

وأن غاية الدين هي الوصول الى هذا الاتحاد الاساسي في العلاقات والجهود والاعمال الانسانية

رولان : لقد عجبت كثيراً من روح التسامح الذي يسود الهند وهو روح لانجد له مثيلا في الغرب . ولعل الطبيعة الكونية لدياناتكم ثم تعدد السمات لحضارتكم يجعلان هذا التسامح ممكنا . فقد سمحت الهند بوجود العقائد والشعائر الدينية المختلفة وتركتها تعيش الواحدة جنب الاخرى

تاجورى : لعل هذا التسامح نفسه كان احدى عللنا فانه السبب لفوضى المذاهب والعقائد المتعددة في الهند . وهذه الفوضى جعلت من الشاق علينا أن نصل الى الاسس الحقيقية لدياناتنا اعتبر مثلا عادة التضحية بالحيوان فانها ليس لها أدنى علاقة بدياناتنا . ومع ذلك فهناك كثيرون يرغبون بمجاراة التقاليد ويمكن أن نجد مثل هذه الانحرافات عند الامم الاخرى . ونحن الآن في الهند نجاهد للتخلص من هذه الانحرافات ونحاول أن نزيد اهتمام الناس بتراثنا الروحي الحقيق

رولان : هذه التضحية بالحيوان نجدها أيضا في المسيحية . وفي الفصول الاولى من التوراة نجد ان الله قدم هابيل لانه ضحى بحمل

تاجورى : ما استطعت قط أن أحب رب التوراة

صورة رسمها تاجوري ولم يضع لها اسماً

رولان : ولكن حتى فى العهد الجديد نجد هذا الباعث أيضا . فان يسوع هو الحمل الذى قدمه الله فداء للانسانية . والموقف هنا ليس روحيا فى المعنى الاوسع

تاجورى : اجل يجب أن نؤكد هذا ، المعنى الاوسع ، ولا يمكن للحقيقة أن تقف متسامحة فى وجه الشر الواضح . فهى بمثابة ضوء الشمس الذى يمحو الجراثيم . والواقع ان حياتنا الدينية فى الهند تكابد المشاق من عدم وجود روح التعصب التي تتسم بها الديانات الانسانية . بل ربما تكون هناك فائدة لو أن موجة من الالحاد مرت ببلادنا . ولست أخشى مثل هذه الموجة لأن الهند لن تقبل الالحاد دينا لها . وانما مثل هذه الموجة تحرق الاعشاب من العقائد فلا يبقى فى الغابة سوى الاشجار الباسقة من الدين الحق . وفى عصرنا هذا قد يكون لاوربا مثل هذا الفضل علينا لو أنها حاربتنا بمثل هذه العقيدة السلبية

رولان : أظن ان العلم يمكنه أن يقوم فى الهند بهذه المهمة

تاجورى: انى أعرف أن الهند لن تستطيع الاعتماد على الذهن وحده فلابد لها من الرجوع الى توازنها . ولذلك فاننا إذا شطحنا لمدة ما نحو جهة معينة فان هذه الشطحة تساعدنا على أن نستعيد توازننا فى الحياة الروحية ويجب أن نستعين بالعلم ثم نعود فنجعل هذا العلم انسانيا



صورة رسمها تاجورى ولم يضع لها اسماً

رولان: ربما كان العلم أكثر العناصر صبغة اممية فى العالم الحديث أعنى روح التعاون فى البحث العلمى . ولكن لدينا الآن غازات خانقة يستعملها السياسيون . وانها لمأساة أن يظل العلماء خاضعين للقوى الحربية التى لا تبالى بتقدم الفكر أو الثقافة الانسانية . واظهر التطورات الحديثه فى السنوات العشر الماضية هو حركة الشبان فى الاقطار المختلفة . وقد سمعت انك قد اتيحت لك الفرصة للوقوف على مغزى حركة الشبان فى المانيا وغيرها من الاقطار الاوربية

تاجورى : لاحظت فى شباب الالمان صفتين عظيمتين الاولى هى الامل والثانية هى روح الخدمة والتضحية . ثم رأيت فيهم الرغبة فى البساطة والتغلب على الظروف . وأشعر أن أحلام الشباب فى المانيا قد تكون منها فائدة للعالم كله

رولان : هذا هو نتيجة آلامهم . ولكن لا ننس انهم يسهل عليهم الانتقال من طرف الى آخر

تاجوري : للآلام تأثير سيء أحيانا إذ قد تستنبط من الأمة اسوأ صفاتها . وكان يمكن الامم التي تألمت مدة الحرب أن تعامل ألمانيا بشيء من السخاء . وتساعد الجيل الجديد فيها

رولان : أن مسألة اليوم ليست العداء بين الامم وانما هي التصادم الحادث بين الطبقات المختلفة في الامة نفسها . ولا يبرر هذا التصادم روح الحرب بين الامم أو يقلل من شأنها . ودعنا الآن نتحول الى موضوع اقرب وأمس بنا . فقد سمعت انك أخذت في الرسم حديثاً

تاجوري : اعترف لك بأن هذه النزعة الجديدة التي لم أكن انتظرها قد حدثت . ولم ألفت أولا نظر واهتمام الى ما كنت ارسمه ولكني وجدت من الاوربيين من رأوا في رسومي أكثر مما انتظرت . ولست أعرف ماذا دعاني الى الرسم

رولان : لك أحلام تحتاج الى الاداء . وليس من الضروري أن يكون الشعر الاداة الوحيدة للتعبير عن رؤياك

تاجوري : في الكلمات وجدان ووعي . ولكن الرسم خلو منهما . وللخواطر أشكال وألوان تنتظر التجسيم في الرسم . وقد صار الرسم عندي هذه الايام هوسا . فقد كنت ابتدىء صباحي بالغناء والشعر . ولكني وقد بلغت الغروب من حياتي أرى عقلي حافلا بالاشكال والالوان

في الشهر القادم حديث بين تاجوري وولز

[illegible]

للاستاذ يعقوب فام

كنت أتحدث إلى شاب متعلم حائز لدرجة دكتور فى علم من العلوم من جامعة باريس . هذا الشاب بحكم تعليمه بحصر اهتمامه وتفكيره فى ناحية واحدة من نواحى الحياة لايتعداها ، فهو حجة فى مهنته ، يكاد يكون محيطاً باطراف الموضوع الذى وقف حياته عليه ، عميقاً فى بحثه نافذ البصيرة إلى دقائق هذا الموضوع ، عندما يتكلم عنه يجب على أمثالنا أن يصغوا ويؤمنوا ويأخذوا كلامه فصل الخطاب ، وبحكم دراسته وميله واهتمامه تجده ضيق أفق العقل، محدود التفكير لايفهم كثيراً من أمور الحياة ، فمن أمثاله الاخصائيين قال رئيس جامعة ييل مرة ، الاخصائى هو الذى يعرف أكثر مايمكن عن أقل مايمكن .

كنت أتحدث اليه وتدرج بنا الحديث الى أن ذكرت له شيئاً مما وجدته فى بعض الصبيان المصريين من أنهم فرديون ذاتيون ، وذكرت له مثلا مما رأيت عن صبى لم يخطر فى باله بحال من الاحوال أن للجماعة عليه حقوقاً ، وأنه مطالب أن يقوم بقسطه من خدمة هذه الجماعة فقال : —

— وهل الفردية مرذولة ؟

— قلت نعم لانها لاتستقيم مع وجود الجماعات وكيانها . هى نوع من الفوضى ، لأن الفوضوى هو الذى يدعو الى حرية الفرد المطلقة ، ولا يرى بأساً من أن تتفكك الجماعات وتندثر

— أنى أعجب بهذا الصبى الذى أوردت لى خبره

— بأى النواحى فيه تعجب ؟

— أعجب بفرديته لأنه على مايظهر يحترم نفسه بهاويرباً بها عن أن تندمج فى الجماعة التى يشعر أنه يفضلها

— فرق بين أن يحترم الانسان نفسه وبين أن يحتقر الجماعة التى يعيش فيها ولا يشترط فيمن يحترم نفسه أن يحتقر الجماعة ، فليس الاثنان متناقضين . ثم لاتنس أن التربية الحديثة هى اجتماعية فى أغراضها وغاياتها وأن أئمة التربية المعاصرين يدعون إلى التربية الاجتماعية

مع المحافظة على تنمية شخصية الفرد واستقلاله فى الرأى ، واعتزازه بنفسه ، واحترامه لها

ـــ كلام فارغ ؟

ـــ كيف ؟ ألا تقبل رأى فلان وفلان من أئمة التربية المجددين ؟

ـــ هؤلاء مغفلون ـــ أنا أعرف أكثر منهم

ـــ هؤلاء اخصائيون فى هذا العلم ، ألا تؤمن بالاخصائيين ؟

ـــ كلا كلا ـــ انهم دجالون

ـــ أما أنا فأؤمن بهم ، وأذهب للطبيب عندما أمرض ، وللمهندس عندما أريد أن ابنى بيتاً وللماليين عندما أريد أن أستثمر مالى ، وآتى اليك عندما أحتاج إلى خدماتك ، أنا أعرف قدر نفسى ، ولا أزعم أنى علىم بكل شىء ، وفى طبيعة الاشياء أن الانسان فى زمن النور والعرفان هذا لايستطيع أن يحيط بكل نواحى المعرفة الانسانية ، وأنا وأنت وهؤلاء جميعاً غير مطالبين أن نعرف كل شىء ، لا بل أعده من الحق أن يتوجه الانسان لمثل هذه الغاية المستحيلة ، من السخف أن تطلب الى انسان واحد بعينه أن يكون كيمائيا وطبيعيا وطبيبا ومهندساً وماليا ومربيا وفلكيا وسياسيا وعالما نفسيا واجتماعيا الى آخر هذه القائمة التى تمتد وتتسع فى كل يوم يمر علينا

هذا انسان مغرور

ثم كنت أتحدث الى أستاذ فى احدى مدارس الحكومة له ابن ضعيف البنية ، ضئيل الجسم عليله ، ليس به مرض معلوم يشكو منه ، أو علة مخصوصة يعانيها ، وانما به ضعف عام ، ويحتاج الى شىء لا أعلم ماهو على التحقيق ، ولكنى أظن أنه يحتاج الى بعض الألعاب الرياضية ، ثم أن أباه يتفق معى فى هذا الشعور الذى لانستند فيه الى أساس من العلم أو المعرفة اليقينية

قال الأب ـــ أنى أجعله يقوم كل صباح ببعض التمرينات البدنية ، واضع له نظاما وأراقب تنفيذه بالدقة

ـــ ماهو هذا النظام ؟

ـــ رسمت له بعض الحركات التى يؤديها

ـــ وهل هذه الحركات تنفعه حقاً ؟

ـــ بالطبع لابد أن تعود على صحته بالخير

ـ من وصفها له ؟

ـ أنا

ـ وهل تفهم أنت فسيولوجية الجسم والرياضة التطبيقية ؟

ـ بكل تأكيد . ألا تعلم يا أخى أنى أستاذ فى المدارس الثانوية ، وأنى متخرج من مدرسة المعلمين العليا ، ثم أنى كنت أمارس هذه الألعاب وأنا طالب ؟

وأنا أيضاً كنت مدرسا بالمدارس الثانوية ، ومارست هذه الألعاب لما كنت طالباً ، وتخرجت من إحدى الجامعات ، ولكنى بعد كل هذا لا أظن أنى أصلح لمثل هذه المأمورية التى اضطلعت أنت بها جزافا كأنها أمر عادى . لقد خطر ببالى يوما أن أغير بعض النسب بين أعضاء جسمى فذهبت الى أخصائى جمعية الشبان المسيحية افوض اليه هذه المأمورية

وهذا انسان آخر يعرف اكثر مما يجب ان يعرف

واحرجنى شاب ثالث غاية الاحراج ، ولم استطع الخروج من المازق الذى اوجدنى فيه الا باللف والدوران ، وبالهروب من الموضوع باحراجه هو نفسه ، ذلك لانه كان مدعيا مغروراً يوقن من نفسه أنه قادر على فهم كل شيء والاحاطة بكل أمر . قال الشاب

ـ لقد سمعت يا أستاذ أنك وضعت كتاباً فى التربية الاخلاقية

ـ هذا صحيح

ـ هل حقاً أنك درست التربية الاخلاقية وتخصصت فيها ؟

ـ لقد حاولت أن أدرسها وان أصرف مدة إقامتى فى الجامعة فى دراستها

ـ هل تستطيع ان تقول لى بجملة واحدة كيف تربى الطفل تربية أخلاقية ؟ لنفرض انى صبى ردىء كيف تستطيع ان تقوم اخلاقى ؟ فهمنى التربية الاخلاقية بجملة واحدة

ـ قلت اسأل طلعت باشا حرب نفس هذا السؤال واطلب اليه ان يخبرك بجملة واحدة كيف استطاع ان يكون عارفا بالمسائل المالية قديراً على ادارتها واستثمارها ، دعه يخبرك بجملة واحدة كيف استطاع ان يصير حجة فى الشئون المالية

ـ قال انا اعرف انه يستطيع

ـ كيف ؟

ـ يقول «بالامانة»

ـ قلت الحمد لله ، لقد كنت اظن طلعت حرب منقطع القرين ، فاذا بنا نجد له قرينا مقارعا فقهقه الحاضرون ، وسكت هو ، وتخلصت أنا

وهذا انسان لايعرف ، ولا يدرى أنه لا يعرف

المسألة أجل من أن تكون دعاية أو موضوعا للتفكهة والتسلية. لايجب أن يمر المفكرون بهذه الظاهرة مرور الكرام من غير أن يعيروها بعض التفاتهم ويولوها شطراً من تفكيرهم علنا نعرف أصل الداء وعلنا نكتشف له علاجا إذا كان ذلك مستطاعا. أما هذه الفوضى التي تغمرنا، وهذا التشويش الفكرى الذى نعيش فيه فلن يصلح أن يكون جواً ملائماً لنهاءنا العقلى، ولإيجاد عقلية خاصة بالمصريين تكون مستقيمة ناضجة تأتلف مع العقليات التى نراها فى الأمم المتمدينة الأخرى. ليس مما يشرفنا كأمة أن نكون كلنا علماء متضلعين فى جميع فروع العلم. لايشرفنا هذا لأنه لايدل على شىء سوى أننا مدعون مغرورون، أو أننا بسطاء الى أقصى حدود البساطة حتى نصدق كل ادعاء وتخضع لكل مهوش، ونخلط ونخبط فى كل مايتصل بالحياة الفكرية

أظن أن منشأ هذه الظاهرة العقلية السقيمة هو فى كتابنا وقادة الرأى فينا. فمن نكد الدنيا أن بعضهم لايقنعون باقل من ان يكونوا علماء على كل لون وفلاسفة على كل طراز. لايقنع الصحافى باقل من أن يكون عالما اجتماعيا ونفسيا، ودون أن يكون فيلسوفا لايبارى فى مضمار، وهذه الصفات والنعوت تنهال عليهم من كل صوب وحدب، ومن أناس نظنهم مطلعين ويعرفون أن للعقل البشرى حدوداً ليس فى استطاعته أن يتعداها، فالمفروض فى هؤلاء الناس أنهم يدرون أن الصحافة فن وعلم، وانه إذا أراد الانسان أن يكون صحافيا بكل معنى الكلمة، فيجب عليه ان يضطلع بدراسات واسعة مشتتة، ويحاول أن يفهم شيئاً من كل شىء، وأن يتتبع التطورات الفكرية الحديثة. والتغيرات الاجتماعية التى تنبت فى مختلف بقاع الأرض ولا سيما ما كان منها يتصل بحياة الجماعة التى يعيش فيها. ثم يفتح عينيه لكل حركة فى العلوم الاخرى من اجتماعية ونفسية وطبيعية وغيرها بحيث يستطيع أن يقتبس من كل هذه الحركات العلمية ما كان منها لايستدعى الدراسة العميقة والبحث المتواصل واجراء التجارب. لسنا ننكر أن الصحافى انسان، وانه له بحكم الطبيعة مهواة تشغله فى وقت فراغه من شئون مهنته، وانه يصرف فيها وقته اذا ترك لنفسه وما يريد. فهذا يميل للفلسفة، وذاك للعلوم الطبيعية أو الرياضية. وغيره للاجتماع وهكذا، بحيث ان هذا العلم أو ذاك هو الذى يجذبه اليه أكثر من غيره، وقد يصير الصحافى عن سبيل مهواته اخصائياً فى فن آخر أو علم من العلوم، اما أنه يصير كل شىء، وعالما بكل شىء، واخصائيا فى كل شىء، فهذا مالا يستطيع أن يقول به انسان يزن الأمور بميزان

لايجب أن يخطر ببال أحد من القراء أننا نريد أن ننتقص من الصحافة أو الصحفيين، فانهم طائفة قوية مستنيرة تضطلع بمأمورية شاقة مضنية، وانما أردنا أن نقول أن خلع

الالقاب عليهم بهذه الصورة يزيد فى حروجة مراكزهم ، ويجعلهم معرضين للنقد الكثير والسخط فى بعض الأحوال ، فانا أنتظر من الصحافى مثلا أن يكتب فى الاجتماع ، ويستطيع أن يحلل الظواهر الاجتماعية الى عناصرها الأولية ويرد هذه العناصر الى أصولها . انتظر منه هذا . وأغلب الظن أنه يفعل هذا . ولكننا نكون متعسفين لو طالبناه باكثر من هذا ، فظلمناه لو انتظرنا منه أن يكون عالما اجتماعيا مدققا ، أو باحثا منقبا فى هذه الشئون التى تتطلب علماء متفرغين لها يقفون جهودهم وحياتهم عليها . وأين هذا من مهنة الصحافى الذى لايجب أن يطالب بغير أن يكون صحافيا ؟ وهو لو فعل هذا لأدى رسالته لوطنه خير اداء

أشعر أنى أطلت الكلام فى الصحافى ، وهو ليس مقصوداً بهذا المقال ، وانما جاء ذكره فيها عرضاً دون قصد . وانما ذكر فيها أصلا لأنه خير مثال يستطيع الانسان أن يورده فى هذا المجال ، فهو بحكم مركزه ومهنته لايصح أن يكون اخصائيا فى أى علم من العلوم ، أو حجة فى فلسفة من الفلسفات . لا بل نستطيع أن نقول أنه عندما يصير حجة فى علم من العلوم تبطل وظيفته كصحافى ، ولا يعود لينفع لهذه المهنة التى تتطلب من الانسان أن يعلم شيئاً عن كل شيء من غير أن يستهويه علم بذاته أو فن بذاته . ومن ثم نقول أن شباب الكتاب يظلمون رجاله اذا أغدقوا عليهم الألقاب من غير حساب ، أو إذا وصفوهم بهذه الأوصاف التى يجب أن تكون وقفاً على الاخصائيين فى كل علم من العلوم

قد يكون هذا الكلام غامضا يحتاج الى بعض الشرح والايضاح ، ونظن أن مثلا واحدا يغنينا فى هذا البحث عن اللف والدوران ، تذكر فى هذا المجال كاتباً من أكبر كتابنا ، وأقوامهم أثراً فى حياة الشبان فى بلادنا ، هو الأستاذ سلامه موسى صاحب هذه المجلة

فالاستاذ سلامه موسى مطلع على الفلسفة الحديثة ، قرأ فيها ما يستطيع انسان ان يقرأ دون ان يتفرغ للفلسفة ويوقف عليها حياته وجهوده فقد قرأ لسقراط وافلاطون وارسطو واكويناس وكانت وهيجل وبركلى وهيوم وهوبز وسبينوزا وغير هؤلاء . كثير من وليام جمس الى برجسون وشوبنهور ونيتشه . قرأ هؤلاء . واطلع على ما كتبوه وكتب عنهم ، وليس هذا فقط ولكن للاستاذ سلامة موسى فلسفة خاصة به ، كما ان لكل انسان فى هذه الدنيا فلسفة خاصة به ، ثم انه يتكهن عن الكون فى مجموعه وعن الحقائق الكونية التى هى فى الواقع موضوع الفلسفة ، مع ان الاستاذ فعل كل هذا وربما اكثر من كل هذا لا يصح ان ندعوه فيلسوفا ، او ننظر اليه كأنه فيلسوف ، لاننا نظلمه لو فعلنا معه هذا او ما يشبهه ، ليس هذا فقط ولكنه ليس عالما نفسيا وان كان مضطلعاً على التطورات الحديثة فى هذا العلم ، وليس

عالما اجتماعيا وان كان له برنامج اجتماعي واضح له حدود ظاهرة وغايات معينة ، وما الاستاذ في الواقع إلا صحافي يعرف مهنته وهي بالاختصار أن يقرب الى افهام أمثالنا الحركات الفكرية الحديثة ، ويعين الجماهير على أن يكون لها مزاج فكري خاص ، وحياة فكرية خاصة ، وبحكم مهنته هذه يعرف شيئاً من كل شيء ، ويربأ بنفسه عن ان تستسلم لعلم بذاته أو فن بذاته

أننا في الواقع نحتاج لأن نتخصص في ناحية معينة من نواحي الفكر ، ونحتاج أكثر من هذا لأن نفهم أننا لسنا مطالبين بأن نعرف كل شيء ، أو نظنه من العار أن نكون جاهلين لكثير من الأشياء ، لا يضير المتعلمين فينا أن يعترفوا بجهلهم لكثير من العلوم والمعارف الانسانية ، لابل يجب أن يفهم الجمهور أنه ليس من اختصاصهم أن يعرفوا في غيرما وقفوا جهودهم عليه وفي غير ماهم مضطلعون به ، لايضير الطبيب أن يجهل القانون ، والمربي أن يجهل التاريخ أو العلوم الطبيعية

يجب على الكتاب أن يعترفوا لكل واحد منهم بمركزه الذي يشغله في الدائرة العقلية التي ينشط فيها ، ويجب أن لايغدقوا على بعضهم الالقاب العلمية إغداقا من غير حساب أو تقدير

وكم من الخير يعود على بلادنا ووطننا لو أخذ كل منا نفسه بفرع من المعارف الانسانية يستقصيه ما استطاع الى ذلك سبيلا ويترك ماعدا هذا لغيره ليتخصص فيه ، بعد هذا نصفي نحن عندما يتكلم الاخصائيون

ياترى متى ندري أننا جاهلون ، وأننا في حاجة لمن يعلمنا ؟

يعقوب فام

أستاذ في التربية من جامعة ييل

محمد طلعت حرب

بقلم الاستاذ حافظ محمود

ليس ضروريا أن تقابل طلعت حرب باشا لتشبع نفسك من مطالعة وجه هذا العقل الجبار الذى استطاع أن يحتفظ لوجه الكرامة المصرية بالحياة. فانت تستطيع ان تقف فى شارع عماد الدين أمام هذا البناء الشامخ الذى يعرفه المصريون جميعاً فتشهد فى تقاسيمه الفسيحة وجه طلعت حرب، وأنت تستطيع ان تدخل ساحة هذا البنك الذى يعرفه المصريون جميعاً وترى الحركة العظيمة القائمة فتحس هناك بنشاط قلب طلعت حرب، ثم أنت تستطيع ان تراجع أى حساب فى أية شركة من الشركات التى خلقها بنك مصر وحين تأخذك فيه الدقة المخلصة تدرك من تلقاء نفسك شيئاً من تفكير طلعت حرب..؟..

لست أعرف الألفاظ التى يغدقها الناس عادة على أمثال المنقذ الاقتصادى الكبير، لكننى أعرف جيداً من معانى هذه الالفاظ ما ليس أقل من انى الآن أتحدث عن رجل لا شبيه له فى التاريخ الحديث لنصف العالم الشرقى. ولست أعرف الادوار التى تقلب فيها بالذات حيث كنت استطيع ان أترجم له ترجمة تاريخية وافية، لكننى أعرف جيداً انه نشأ رجلا وعاش وسيعيش طول حياته يحمل فى تاريخ هذه الحياة نموذجا من الرجولة الممتازة التى هى فى حياة الامم نبع سعادة ورخاء

بدأ حياته العامة اديبا أو كأنه كان اديبا، وفى هذه التقدمة عزاء لادباء مصر ان يكونوا فى مستقبل حياتهم هكذا متجهين، على انه كان هذا الاديب الذى يتمثل له مثلا عاليا ينشده ويسعى اليه بعقله وقلبه وجهوده جميعا. وانت حين تذكر ان المثل العليا للعقول العظيمة كانت كلها مثلا غايتها سعادة الانسانية فى أى شكل من أشكال السعادة ورخاء المجتمع فى اية صورة من صور الرخاء — تستطيع ان تعرف من غير تمهيد ومن غير مقدمات مسهبة كيف اتجه طلعت حرب فى حياة مصر هذا المتجه الذهبى الخالد.

كان يعالج بقلبه فى المجتمع المصرى علله التى لا يزال الكتاب صارفين حياتهم وجهودهم فى علاجها، لكنه كان يعالج العلل الاجتماعية فى أسلوبه الادبى على طريقة العالم المنقب، حتى هداه التنقيب الى الاكتشاف العظيم، وهذا الاكتشاف — او المكتشف كما يقولون — هو حاجة الامة الى بنك وطنى خالص يغذى حاجة المجتمع المصرى من الوان الحياة الاقتصادية

وكأن هذا الاكتشاف كان عند المنقذ الاقتصادى الكبير وحياً يحسه ولا يكاد يدرك كنهه تماما . فبدأ يدعو الى انقاذ الفلاح المصرى من ارهاق البنوك الأجنبية وعسفها ، ثم أخذ ينادى باجماع كلمة المصريين ذوى الأموال منهم على أى مشروع ينهض برغبة هذا الفلاح المسكين من غير عسف ولا ارهاق . حتى اذا ما كان المؤتمر المصرى الذى عقد سنة ١٩١١ ورأى طلعت حرب ان الافكار تهيأت لقبول مقترح جديد نادى بانشاء « بنك المصريين » ، وكانت هى الصيحة الأولى فى تاريخ « بنك مصر » العظيم ، وما لبث أن ردد هذه الصيحة العظيمة فى رسالته الخالدة التى وضعها تحت عنوان « علاج مصر الاقتصادى وانشاء بنك للمصريين » .

* * *

« ان مطالبنا متواضعة ، فنحن نريد أن نعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون » . هذه الكلمة من كلمات طلعت حرب قالها منذ ثمانى عشرة سنة تقريباً وهى كلمة تحمل فى تضاعيفها الغاية التى تمثلها هذا الرجل من زمن غير قريب ، وتعطينا صورة من هذه النفسية التى تثور فى هدوء رائع . ومع ان هذه الكلمة البسيطة قد لاتصلح عنوانا لمبدأ من المبادىء المحدودة ، ومع أنها قد تكون من أكثر الكلمات تسرباً الى معان كثيرة مختلفة إلا أنها تدل دلالة قوية على أن طلعت حرب قبل أن يكون عمدة بنك مصر ومدير بنك مصر ، قبل أن يكون لهذا البنك قوام فى الوجود كان ذا قلب اتسع لآمال أمة ، وأخذ هذا القلب الكبير يصور هذه الآمال صوراً متشاكلة ، وهو مازال بهذه الصور يتعهدها منطلقة بمعالى التهذيب يوما بعد يوم وسنة بعد سنة حتى خرجت منها هذه الصورة الحية التى نستطيع أن نشهدها كل يوم فى البنك المصرى الخالد الذى يمثل الناحية الذهبية فى حياة الوطن .

« بنك مصر » و« طلعت حرب » اسمان أصبح كل منهما يدل على الثانى دلالة قوية واضحة. ومع مافى هذه الدلالة من مجد وفخار لطلعت حرب فانما أعتقد أن فيها شيئاً من الغبن أكثر من قليل . ذلك ان طلعت حرب شىء أكبر من أن يكون عمدة أو مدير بنك مصر فحسب. ولو ان بنك مصر لم يبعث الى الحياة المصرية فى هذا العهد كأثرة خالدة من مآثر الجيل الحاضر لما عاش هذا الرجل مغموراً فى يوم من الأيام . وما طلعت حرب الا قوة فى الذخائر المعنوية للوطن من هذه القوى التى يوجهها القدر أى اتجاه يشاء لكنها فى اى متجه تكون لابد ان تثمر وان تملأ الدنيا فيما حولها من الوجود خيراً وبركات .

انى أكتب هذا الذى اقول فى لهجة غيرٌ اللهجة التى اعتاد أن يصوغها الذين يكتبون حول كل من عظم اسمه واشتهر . فانا انما اكتب هذا الذى أقوله لانى أعتقد انه الحق المحدود الذى لانقص فيه ولا زيادة أيضاً .

فطلعت حرب رجل من الرجال الذين تهمهم الحياة بجلائل الهموم : رجل لاتتحرك نفسه بآمال فرد ولايفكر ألا بخواطر عدة أفراد ، انما يهتم الاهتمام كله بحاجات أمة كاملة ، وسواء هيأته المقادير لأن يخطو بهذه الرغبات خطوات التحقيق عن طريق بنك أو شركة ما تجارية أو صناعية فهو قبل هذا كله وبعد هذا كله الرجل الذى تتسرب حياته الخاصة فى نواحى الحياة العامة كلها لتسلون فيها بينبوع ثروة معنوية حيناً وثروة مادية حيناً . وأنت تستطيع أن تتبين هذه الناحية من طلعت حرب حين تقرأ له هذه الكلمات التى قالها فى حفلة تكريم سعد زغلول :

« لئن كنا غير اكفاء لحكومة بلادنا فان المهيمنين على أمورنا وشؤوننا أظهروا بتصرفاتهم انهم أقل كفاءة منا بكثير لأنهم لم ينجحوا فى أن يذهبوا عنا تهمة عدم الكفاءة التى هم أول من رمونا بها . أمامكم أمم العالم . فهل رأيتم أمة من بينها تترك للصدفة حبلها على غاربها فى شؤونها الاقتصادية لارأى لها فى الذب عن مصالحها وتترك طعمة للآكلين ومضغة لكل ماضغ . اين الغرف التجارية التى أسسوها أو ساعدوها ؟ أين النقابات الزراعية والصناعية التى نظموها ؟ اين البنوك والشركات المصرية التى عملوا على ايجادها؟ أين التشريع الذى يبق للمصريين ويحمى مصنوعاتهم ومحاصيلهم ؟ .. تركوا المصريين عزلا من كل سلاح بين منافسين ومزاحمين مدججين بأحسن طراز من الاسلحة الحديثة ، وبعد ذلك يعتبروننا لانصلح لشئ . لأننا لم نعمل شيئا ، وهم هم الذين لم يؤهلونا للعمل ، بل أفسدت السياسة ما كان صالحاً لدينا ، فلم يشجعوا شيئاً من الصناعة الوطنية ، بل لعلهم وقفوا فى طريقها وقفة المدافع عن مصنوعات الخارج »

منطق فى السياسة التى اذلت القوى المعنوية بمصر فيما حوالى الحرب الكبرى الفائتة وفيما تلا هذه الحرب من عهد الحكم الأجنبى المشؤوم لايتوافر الا لعقل زعيم مهموم بشؤون أمة . ويزيد فى قيمة هذا المنطق — حين تعرف ان هذه الكلمات انما قيلت فى أوائل سنة ١٩٢١ — انه مفصل تفصيلا دقيقاً حسب الرغائب القومية التى كانت الحياة المصرية مسيسة الحاجة اليها : الى بثها فى النفس المصرية كارادة ، ثم الى استحالة هذه الارادة الى قوة تنفيذية تنقذ الوطن من شر ماحشدته السياسة المغرضة فى طريق التقدم المصرى من عراقيل .

° ° °

هل تحقق الايام غاية طلعت حرب فنتبوأ مكاناً تحت الشمس ونعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون ؟ . . . لكن ما لطلعت حرب والأيام ينتظرها أو يترقب ظروفها ؟ ! . انه هو الذى يخلق هذه الظروف فيسابق الأيام الى تحقيق الغاية القومية التى ينشدها . فى الوقت الذى اطمأن فيه كثيرون من المموّلين المصريين الى البنوك الأجنبية يودعون فيها أموالهم و يرصون الحرص كله على ان تبقى ثرواتهم مختزنة عند هذه البنوك — هب طلعت حرب فى فئة قليلة من أولئك المموّلين بمشروع البنك الذى انشأه فكرة ورعاه خاطراً عذبا يسرى من رأسه الى نفوس الآخرين من المخلصين لبلادهم يستوحيهم معنى الأقدام . حتى خرج المشروع الى ظاهر الحياة وأصبح أثراً ماديا يزداد ضخامة فى كل يوم عن سابق الأيام ، وها هو البنك الناشىء يملأ الحياة الاقتصادية فى مصر عنفوانا وعزة ، وها هو يتطور كل يوم نحو كمال الغاية التى ينشدها طلعت حرب فيتحول من بنك عادى للمعاملات الى معهد عظيم يتلقى فيه المصريون دروس الاستقلال الاقتصادى دروساً عملية ذات اثر سريع مباشر .

فى كل سنة شركة جديدة وفى كل سنة فرع جديد ، وفى كل سنة مشروع يتصل بصميم الحياة المصرية يخرجه رأس المنقذ الاقتصادى الكبير . وهكذا نحيا طلعت حرب فى مشاريعه حياة قائد عظيم من قادة السلم يرسم الخطط ويقيس الاحوال بمقاييس المنفعة القومية التى تنفع أمة بأجمعها . وأنت تستطيع أن تكشف عن هذه القيادة السلمية النبيلة حين تقرأ طلعت حرب يخاطب المحليين فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر بالمحلة الكبرى سنة ١٩٢٤ يقول :

« انتج التوازن فى مدينتكم زيادة الشوق الى العرفان والاقبال على التعلم دليل أن الملمين بالقراءة والكتابة فى المحلة الكبرى يبلغون ٨٤ فى الالف فى حين أنهم لا يزيدون فى مجموع بلاد القطر عن ٦٨ فى الالف ، وهم فى بقية جهات مركز المحلة الكبرى التى جمدت على الزراعة وحدها يبلغون ٤١ فى الالف ، وفى نفس مديرية الغربية فى عموم متوسطها يبلغون ٦٠ فى الالف ، فمدينة المحلة الكبرى تسبق فى هذا الباب المتوسط العام للقطر المصرى ولمديرية الغربية .

فانت حين تقرأ هذه العبارات المعززة بالارقام التى تدور حول الحركة التهذيبية البحتة فى حياة مدينة واحدة من المدن المصرية تشعر بناحية الاتجاه فى نفس طلعت حرب اتجاها قوميا خالصا يتعلق بالمصلحة العامة وحدها ، وليس المال فى هذا الاتجاه إلا وسيلة تتوسل

بها مشاريع المنقذ الاقتصادى الكبير الى الغاية التى تمثلها نفسه فى قوله « اننا نريد أن نعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون » . . . ولعل أبلغ مايقال من المعانى فى عظمة طلعت حرب انه تقمص روح الاقتصاد فى مصر تقمصاً عبقريا نادر الوجود ، حيث أصبحت خوالج نفسه كلها متأثرة بهذه الروح ، وحيث استولد من وحى قلبه شيئاً أستطيع أن أسميه « حاسة الاقتصاد » . فهو يكاد لايلمس ولا ينظر ولا يحس الاشياء الا بهذه الحاسة الفذة التى هى الدليل المادى الحى القائم على عظمة طلعت حرب . فانت تراه بعد ان يحدث سكان المحلة الكبرى عن اثر التوازن الاقتصادى فى حياة مدينتهم يعود فيقول لهم عن « المحلة » متأثر العاطفة بهذه الحاسة الدقيقة :

« انكم تحبونها كوطن صغير لكم ، وأنا أحبها كبيئة من احسن البيئات استعداداً لصناعات الغزل والنساجة الكبرى » . وليس فى تاريخ المجد ولا فى تاريخ النجاح احساس يفوق هذا الاحساس الذى يوحد عواطف طلعت حرب ويلخصها فى شعور واحد هو الشعور بحاجات بلاده الاقتصادية بحيث يفوق حبه على كل بيئة تستغرقها فى هذه الحاجات . .

وان هذه الفقرات كلها هى صورة تقريبية تحبب الينا طلعت حرب حبا يتعدى الفائدة التى نستفيدها اشخاصنا من بنك مصر ومشاريع بنك مصر الى أعمق أسباب التقدير الذى يستحقه رجل عظيم ، ليس لشىء الا انه يعيش فى أمته عظيما .

حافظ محمود

رائحة لندن

لكل مدينة عتيقة روحها أو رائحتها التى تتميز بها من سائر المدن وانما نقول « عتيقة » لأن المدن المحدثة هى أجسام بلا أرواح اذا أردنا ان نصفها ذكرنا مافيها من شوارع رحبة وبنايات ضخمة وعدد سكانها ونحو ذلك . وهذا هو مانفعل كلما ذكرنا احدى المدن الامريكية المحدثة

ولكن العتق فى المدن يحتاج الى الزمن الذى قد لايقل عن الف عام . وهذا الزمن يكسب المدينة روحها فترى فى السكان عادات قدتأصلت بل لهجة فىاللغة قد ثبتت ورسخت وترى زيا شائعا فى اللباس والطعام والبناء حتى لتحس كأن للمدينة اخلاقا كما للسكان وان لها شخصية قائمة تتجاوز هذه الاحجار الصامتة التى بنيت بها

وهذا هو مانراه فى القاهرة التى لا ينسى زائرها أحياءها القاهرية الحقيقية فى الغورية والسيدة ومصر العتيقة والقلعة . وهذا أيضا هو مانراه فى رومية — المدينة الأبدية — حين نجول فى أزقتها فترى بين كل خطوة واخرى كنيسة ضخمة بل هى تذكرنا بشيخوختها بهرم صغير بنى على نسق الاهرام المصرية . ناهيك بكنيسة البابا وقصره والمقابر التى تتفرع تحت الارض انفاقا مضللة كالتيه . وكذلك الاستانة تجد فيها الروح البيزنطية التى تعود بالذاكرة الى الف سنة مضت

فلكل من هذه المدن العتيقة روحها أو رائحتها التى لايمكن زائرها أن ينساها . وكذلك لندن التى مضى عليها أكثر من الف سنة فان لها شخصية لايمكن أن تمحى

وللطبيعة — كما للصناعة — شأن فى تكوين هذه الشخصية . فقدحابتها بجو بليل لايعرف فى غيرها . وهو جو يدعو الى النشاط ويجعل الماشى فى الشارع يكاد يجرى . وأول مايشعر به المصرى النازل فى لندن أن الناس يتعجلون فى سيرهم يجهدون أنفسهم كثيراً ولا يعرفون نوم القيلولة لاصيفا ولا شتاء . وأخص الاشياء بلندن فى هذا الجو هو الضباب . وهو ضباب لندنى يهجم على المدينة فى لحظة فيغمرها سريعا مفاجئا . وهو أبيض ولكنه صفيق لايمكن الانسان أحيانا ان يتبين كفه اذا مده أمامه . وهو ليس ثمرة الطبيعة وانما هو مزاج بينها وبين الصناعة . فان الأدخنة التى تقذفها مصانع لندن وضواحيها تتلبس بالرطوبة وتستحيل ضبابا كثيفا صفيقا لايرى فى غير لندن

على ان للجو خاصة اخرى هى هذا الثلج الذى لانعرفه فى بلادنا . فان السماء تمطر المدينة ثلجا رخفا كأنه الريش الابيض يتطاير ويتهافت الى ان يبلغ الارض فيكسو المنازل والاشجار والشوارع بكساء أبيض غاية فى الجمال . واذا سار الانسان عليه غاصت فيه قدماه لأنه هش لا يتحمل الضغط . فاذا كثرت عليه الاقدام رسب واستحال ثلجاً جامداً كالذى تراه فى القاهرة . وفى الصباح ترى جميع السكان وقد لبسوا معاطفهم وفراءهم وخرجوا ناشطين جادين لأنهم لايسعهم فى هذا الجو إلا النشاط والجد

وهذا هو حظ الطبيعة فى تكوين لندن . ولكن للانسان حظاً آخر هو أبرز وأوضح من حظ الطبيعة

ففى يوم الاحد مثلا تجد منظراً لا تجده فى مدينة أخرى فى العالم . وهو منظر لن تستطيع ان تدرك مغزاه إلا إذا عرفت تاريخ الانجليز وتعلقهم بالدين . وذلك لأن الانجليزى متدين بطبيعته حتى عندما يكفر . فانه يسير فى كفره بروح دينية يبشر به الناس بحماسة حارة . وقد مضى الزمن الذى كان يعاقب فيه الانجليز اذا تخلف عن الكنيسة يوم الاحد ولكن ماتزال لهذا اليوم قداسته اذ تغلق فيه جميع المخازن والحوانيت فتصبح المدينة كأنها بلدة اثرية خالية من الحركة مع أنها فى سائر الاسبوع تعج بالسابلة وتزخر بالمركبات . ومما يذكر عن أحد الفرنسيين الذين زاروا لندن أنه ألف كتاباً عنها وعقد فى هذا الكتاب فصلا عن يوم الاحد لجعله صفحات بيضاء ليس فيها سطر واحد من الكتابة . وهو يعنى بذلك أن فى هذا اليوم تخلو لندن من كل شىء يمكن الكتابة عنه

ولا يمكن زائر لندن أن ينسى هايد بارك . وهو المتنزه الذى تزيد مساحته على خمسين فداناً يهرع اليه الناس للنزهة ويقضون ساعات لذيذة وهم قاعدون أو منبطحون على العشب الاخضر . وهذا المتنزه يكشف لنا من النفس الانجليزية أكثر مما تكشفه البيوت والكتب والصحف . فهناك تجد حبيبين قد خلا كل منهما الى الآخر بعيداً أو نأيا قليلا عن الزائرين للمتنزه وأخذ كل منهما يبث الآخر لوعته . ومثل هذين الحبيبين يرى فى جميع متنزه لندن . وانجلترا هى بلاد الحب . أما فرنسا فهى بلاد الكتابة عن الحب . ويكاد يجزم الانسان من اخلاق الانجليز أنه لايعقد زواج فى انجلترا بلا حب . وقلما تجد شاباً انجليزياً يسير وحده فان له على الدوام رفيقة ترافقه وكلاهما ينظر فى وجه الاخر ويرى فيه السعادة واللذة العظمى . وهذه المرافقة التى تسبق الزواج هى من الملذات التى حرمنا نحن منها فى مصر والتى مازلنا ننظر اليها نظرة احتقار وكراهة

على ان لهذا المتنزه ميزة أخرى وهو أنه ميدان للخطابة . والخطباء يقصدون اليه كل منهم يحمل منصته التى يقف عليها ثم يشرع فى شرح موضوعه . فاذا كان فصيحا لبقا جمع حوله

حلقة تقف حول منصته وتنصت لما يقول . وهنا تبدو حرية الفكر على أوسع معانيها ، فهذا خطيب متدين يشرح للناس قيام الساعة وأنها أوشكت وان عقاب الله سينزل بهم اذا لم يلزموا أوامر الانجيل ونواهيه . والى جانبه على مسافة قليلة منه خطيب آخر يشرح للناس مزايا الالحاد وماجلبت الاديان على الناس من اضرار ثم يقص عليهم وهو يتهكم ويضحك بعض روايات الكتب المقدسة وكيف أن العلم ينقضها . ويحدث كل ذلك والجمهور صامت . ولكنك تشعر وأنت تنظر الى الوجوه أن بعضهم يغلى من الغيظ ولكنه يكظم مافى نفسه لانه تعود حرية الفكر . ويدلك على ذلك ان احد الواقفين حول الخطيب يقول بصوت متهدج اجش : « برهن على ماتقول » فيلفت اليه سائر الحضور وكأنهم يوبخونه على هذا الاعتراض

وروح لندن تبدو واضحة فى البيت الانجليزى . وللبيوت الانجليزية شخصيات مستقلة ولذلك لايعرفها أصحابها بالارقام كما نعرف بيوتنا وانما يطلقون عليها أسماء خاصة . والبيت فى لندن لايشبه خارجه داخله . فهو من الخارج طوب وأحجار غير مزخرفة ولا مطلية بأى طلاء . وذلك لأن ادخنة المدينة تساوى بين المطلى المزخرف وغيره العاطل المجرد اذ تكسو الاثنين بكساء قاتم من الدخان . ولكنك عند ماتدخل البيت تجد من وسائل الراحة والنظافة ماقلما تجده فى بيت آخر فى العالم . بل يمكنك أن تقارن بيوت العمال الانجليز انفسهم ببيوت الاغنياء والمتوسطين فى الامم الاخرى وقد تخرج من المقارنة بتفضيل البيت اللندنى . فان السلم الذى يعد جزءا من البناء فى باريس او برلين هو جزء من الاثاث فى البيت الانجليزى يصنع من الخشب الفاخر ويدهن باجمل الاصباغ ويفرش بالابسطة الزاهية . والكراسى التى تراها فى البيوت الاخرى للزينة هى فى لندن للراحة

وحانوت الجزار فى لندن هو أحد المؤسسات الانجليزية . وهو يرى فى أحسن أوقاته قبيل عيد الميلاد فانه يحتوى عندئذ على مئات الجثث من الخنازير الى الحملان الى الدنادى الى الاوز والبط . وليس الحانوت كبيرا ولكن هذه الجثث تعلق من السقف الى الارض فيستوعب الحانوت مقداراً كبيرا جدا منها

وقد يعيش الانسان فى باريس ويحب لياليها الملاح . أو فى برلين ويعشق قهواتها وموسيقاها وأكواب البيرة المزبدة فيها . وقد يبقى السنوات فى رومه لايسأم آثارها التاريخية ولكن زائر لندن لايمكنه بعد أن يغادرها ان ينسى ذلك البيت الانجليزى الحافل بأنواع الترف والرفاهية ولا تلك المناظر السماوية مناظر العاشقين يتهامسون فى المتنزهات ويبيحون لأنفسهم الحياة المرحه الطروب ، ولا ذلك الصباح البارد الذى يسير عليه حين تغوص قدمه فى الثلج الابيض فيتزعاق لذة وجهد ، ولا تلك الحرية التى تقابل بالرضا والصمت حتى من المخالفين

عرابى فى نظر التـــــاريخ

لاينكر انسان أن عرابى كان بطلا وطنياً عظيما وأنه أول مصرى فلاح أنجبته هذه البلاد قام يدافع عن حقوقها ، وهو ، كما يقول عنه مؤلف انكليزى : « الفلاح ابن شيخ البلد الذى أصبح فى أسابيع قليلة محط أمال المصريين لانه كان فلاحا يعرف ظلامات الفلاحين ويحسن الدفاع عنهم ، ودفاع عرابى عن الفلاحين هو الذى ميزه من مصلحى ذلك العصر وكانوا يسمونه « الواحد » لأنه الفلاح الوحيد الذى استطاع ان يزيل عن طبقته مظالم الطبقة الحاكمة

ولا يمكن أن يطعن أحد فى وطنيته . وقد اعترف له بها حتى أعداؤه . فقد قال السير أوكلند كولفن المراقب البريطانى والذى كان من ألد أعدائه فى تلغراف أرسله لوزارة الخارجية البريطانية ، أنى عدلت أرائى عن الحركة المصرية وأنى وان كنت قد أبلغت الحكومة الانجليزية بأن الحركة كانت ضد الجراكسة وأنها روح استياء فى الجيش فقط ولكننى أقرر الآن أنها حركة مصرية وطنية يجب الا تثبط ولا تقاوم ، وحتى السير ادوارد مالت أيد هذا الرأى وأشار بعدم اتخاذ أية خطوات عدائية لمقاومة الحركة الوطنية .

وشهد الأمير كامل وهو أحد أعضاء الاسرة الخديوية (وكان عضواً فى الحكومة المؤقتة) ان عرابى كان وطنياً بكل معنى الكلمة . وقالت عنه الاميرة نازلى أن عرابى كان أول وزير وطنى جعل الأوربيين يحترمونه ويخضعون له . وكان المصريون يرفعون رءوسهم ولم يمكن الاوربيين أن يخالفوا القوانين فى مدة حكمه . أما الآن وبعد أن زال حكمه فان الأمر بالعكس فان المصريين يخضعون للقوانين بينما الأوربيون لا يكترثون بها

وكان عرابى عفيف اليد أميناً فقد حدث ان أصبحت خزانة البلاد ومواردها كلها تحت يده فلم تمتد لأخذ قرش واحد . ولما صفيت أملاكه عند مصادرتها وجدت أنها ثمانية أفدنة ورثهم عن والده ، وأثاث منزله ثم ٦٠٠ فدان من الرمال جرداء لم يبدأ فيها اصلاح وكان قد اشتراها أيام عزه . ولم يحاول اصلاحها لأن وقته كله كان قد خصصه لشئون بلاده . ولو كان حاول ذلك فى مدة وجوده فى الحكم لما عجز ولكنه لم يفعل

وكان عرابى يحب المستر بلنت قبل أن يتعرف به لانه ينتمى لاسرة الشاعر بيرون وكان هو يمجد هذا الشاعر لدفاعه عن حرية اليونان . وهذا يدل على عطف عرابى على الانسانية كلها وعدم تفريقه فى ذلك بين الشعوب والاديان . وقد كان عرابى مجردا من التعصب (اذا كان معنى التعصب الكراهية الدينية) وكان ابدا مستعدا لعقد التناصر مع المسيحيين واليهود وغيرهم للدفاع عن الحرية المصرية وان لم يؤثر استعداده هذا مثقال ذرة فى تقواه .

وهنا يجب ان نذكر ان الاقباط جميعاً كانوا مع عرابى حتى ان البطريرك كتب لأحد معارفه فى انكلترا وهو هنرى مدلتون خطابا فى اثناء الحرب يدافع فيه عن عرابى . وكان عرابى لاينفك يزور البطريرك وكان غبطته أحد أعضاء المجلس الذى قرر تثبيت عرابى على حكم البلاد والاستمرار فى الحرب

ورغم ان القومية المصرية كانت لا تزال مشاعة فى ذلك العصر فى القومية التركية فقد كان رأى عرابى جليا فيما يتعلق بتركيا وعلاقة مصر بها . فقد ذكر انه لا يضمر خيرا للأتراك وقد اساءوا حكم مصر قرونا وانه لايقبل اى تدخل من جانبهم فى شئون مصر الداخلية فقد كسبت مصر استقلالها بالفرمانات وستبذل كل جهدها فى المحافظة على هذا الاستقلال وستقاوم بقوة السلاح أية محاولة منهم فى دخول القطر المصرى

وكان عرابى دستوريا بعكس ما أشيع عنه من أنه أراد أن يقيم دكتاتورية عسكرية لمصلحة فى مصر . فقد قال : « متى اجتمع البرلمان أنتهت مهمة رجال الجهادية لأن المجلس يمثل الامة » والى حكم عرابى يعزى كثير من الاصلاحات التى حدثت فى مصر والتى نسبت بعد ذلك ظلما الى الاحتلال . فن ذلك الغاء السخرة وحماية الفلاحين من المرابين وانشاء بنك زراعى للغرض نفسه أيضا

وفى مذكرات عرابى شىء كثير عن الاصلاحات العسكرية والقضائية وعن نظم التعليم فى المدارس وتعديل طريقة الانتخاب للبرلمان الجديد والغاء الرق

واحسن صفات عرابى هو تشبثه بغرضه الاصلى مع استعداده دواماً للدفاع عن بلاده وحمايتها وقد أدى من هذه الوجهة عدة خدمات لابناء وطنه مدة حكمه القصير يجب تذكيرهم بها الآن

فليس هناك شك فى أنه لو كان عرابى أقل عناداً أو ثباتا عما كان حين رفض مغادرة وطنه ولم يعبأ بالتهديدات ، ولو إنه لم يحارب لبقى المصريون عبيدا لاقلية حاكمة من الاتراك والاوربيين

وماذا كان ينتج من خضوع عرابى ؟ هل كانت تستمر الحكومة الذاتية ؟ هل كان الحكم الاجنبى يكون أقل الان ؟ كلا وكل ما كنا نكسبه هو تفادى الفوضى التى أعقبت الحرب ولكن يضاف الى ذلك خسائر جمة منها وقوف أوربا عن الاهتمام بالمسألة المصرية وجمود ضميرها من هذه الناحية . ثم كانت الوطنية التى فشت بين الفلاحين تزول زوالا عزيا لأن الامة التى نهضت تعود ذليلة مستكينة عند ماترى زعيمها يغادر البلاد

فاقل مافعل عرابى أنه أنقذ بلاده من استبداد الحكام وإذا كان قد أخفق بصفته جنديا فانه لم يخفق باعتباره وطنيا وبلاده مدينة له بذلك . فانه لم يحجم عن الحرب فى وقت كانت فيه الحرب لازمة

أنور زقله

السرطان مرض الحضارة

ليس شيء من الأمراض هو أعضل من هذا المرض الذي يبدأ صغيراً حقيراً كأنه أحد الأورام المألوفة في الجسم ثم يمتد ويتفاقم ويختم حياة المريض بالموت بعد آلام مضنية ليس أقلها ذلك الألم النفسي الذي يحس به المريض عند ما يؤكد له الطبيب أن الموت لابد منه بعد أشهر أو أسابيع. ويتضافر الاطباء في جميع الأمم على مكافحة هذا المرض ودرسه ولكن كل هذه الجهود تبدو كأنها عقيمة. ففي السنين العشرين الماضية زاد عدد الوفيات من هذا المرض في انجلترا ويلس إلى الضعف. فقد كان في سنة ١٩٠٨ وفاة واحدة لكل ست عشرة وفاة فصار في سنة ١٩٢٨ وفاة لكل ثماني وفيات. ولما كان هذا المرض يصيب المتقدمين في السن حوالى الأربعين وما فوقها فان نسبة الوفيات في الشيوخ تبلغ وفاة واحدة لكل أربع أو خمس وفيات. وهذه النسبة مخيفة بل مرعبة. والطب عاجز عن مكافحتها بل حتى عن وقفها عند هذا الحد. وكل ما يفعله الآن أنه يتناول المريض في بداية المرض بمشرط الجراح أو بتسليط أشعة الراديوم على مكان الورم السرطاني. ولكن مع كل هذا تزداد الاصابات بهذا المرض ولا تنقص. وهذا العلاج نفسه لا يؤدي الى الشفاء الحاسم

وهناك أسباب مباشرة يعزى اليها هذا المرض ويذكرها الاطباء. كثيراً مثل السن النخرة التي يحتك بها اللسان ويتهيج من هذا الاحتكاك وملامسة القطران والبترول أو أدخنتهما ونواس المداخن والزرنيخ والاصباغ الانيلية والحصا في المثانة أو القرحة المزمنة والالتهاب المعاود. ومعنى ذلك أن السرطان ينشأ في مكان من الجسم يكون قد سبق فيه تهييج من مواد غريبة لانسجة الجسم. وكل الدلائل تدل على صحة هذا النظر. ولكن لو كان السرطان لا ينشأ الا من هذه المهيجات لما تفشى بين الناس الى هذه الدرجة المرعبة التي بلغها. فلا بد اذن من أسباب أخرى. وهذه الاسباب هي التي يدرسها الآن أحد الباحثين الانجليز وهو المستر اليس باركر. وقد أخذ على نفسه درس هذا المرض من ناحية أخرى غير تلك الناحية التي يدرسها الطبيب والجراح. وللمستر باركر كتب ورسائل عدة في شرح الاسباب التي تؤدي الى هذا المرض وطرق الوقاية منه ومعالجته. وقد لقيت آراؤه ارتياحا في بعض الدوائر الطبية كما أنها تلقى مقاومة عنيفة في دوائر طبية أخرى. ونحن ننقل هنا خلاصة مقال له في هذا الموضوع

يرى المستر اليس باركر أن السرطان هو مرض الحضارة وانه ينشأ من المعيشة التي نعيشها في وسط متحضر من حيث الطعام وملابسة صناعات تؤذي الجسم. وهو يرى أننا

إذا أبدلنا بمعيشتنا الحضرية معيشة ساذجة أمكننا أن نتقى هذا المرض . وقبل ذلك يجب أن نغير طريقة البحث . فالاطباء الآن يبحثون هذا المرض فى المعامل يأخذون الورم السرطانى ويفحصون عنه علهم يجدون مكروباً ينسبونه اليه . ولكن هذه الخطة لن تؤدى إلى العلاج الشافى . فقد كان التدرن (السل) معروفاً منذ أيام أبقراط وكان يعالج بالهواء النقى والطعام الحسن والراحة . ومنذ خمسين سنة فقط عرف كوخ المكروب الذى يحدثه . ومع ذلك لم يتقدم العلاج بهذه المعرفة . فاننا مازلنا نعالج التدرن بالهواء والطعام والراحة كما كان يفعل ابقراط . وقد يحدث لنا مثل ذلك فى السرطان أى أننا قد نعرف المكروب — إذا كان هناك مكروب — ثم نعجز عن معرفة العلاج

ويرى المستر اليس باركر أن السرطان ليس مرضاً محلياً أى ينحصر فى مكان الورم وانما هو مرض يصيب الجسم كله وليس الورم سوى أحدى علاماته . ومن هنا اخفاق الجراحين فى معالجته لانهم عندما يقطعون الورم فى مكان يعود فيظهر فى مكان آخر

وليس شك فى أن السرطان ينشأ من السن المتأخرة وملامسة القطران والبترول ونواتج المداخن والاصباغ والزرنيخ ووجود الحصا ونحو ذلك من المهيجات . ولكن الاطباء يذكرون هذه الاشياء وينسون أن فى معيشتنا المتحضرة مايقوم مقام هذه المهيجات ويحدث لنا هذا المرض . فقد أثبت الاحصاء مثلاً أن الوفيات بالسرطان هى كما يلى بالنسبة إلى الصناعات التى يمارسها أصحابها

القسوس ورجال الدين	٤٥	الجزارون	١٠٥
الفلاحون والمزارعون	٥٤	البحارة	١١٠
الاطباء والجراحون	٧٠	الخمارون	١٢٥
خدمة المطاعم والفنادق	١٠٢		

فمن هذه الارقام التى تثبتها الحكومة فى احصاءاتها يتضح للقارىء أن المعيشة الساذجة هى العلاج الواقى من السرطان . فان القسوس ورجال الدين والفلاحين والمزارعين هم أقل الطبقات تناولا للحوم والخمور يعتدلون فى طعامهم ويأكلون الاشياء الطازجة . بينما الجزارون وخدمة المطاعم والفنادق يأكلون مقداراً كبيراً من اللحوم فنسبة الوفيات بينهم عالية لهذا السبب . وكذلك الخمارون يشربون كثيراً من الخمر والاكثار من اللحم والخمر يهيج أنسجة الجسم كما تهيجه الأشياء التى تذكر كثيراً فى الكتب الطبية كملامسة القطران والبترول الخ

ولكن يرى القارىء فى هذه الارقام رقما يجب أن يدهش له لأول وهلة . وهو ارتفاع نسبة الوفيات بين البحارة . فقد يظن أن هؤلاء البحارة يعيشون فى الهواء النقى على سطح البحار وان هذه المعيشة الصحية كان يجب أن تقيهم من هذا المرض . ولكن المعروف أن

البواخر تخزن مقداراً كبيراً من الأطعمة الكبيسة أو القديدة التي قد يمضي عليها زمن طويل فتفقد طزاجتها. ومعنى ذلك أنها تفقد معظم ما فيها من مركبات الفيتامين. فالبحار الذي يأكلها يشبع باحساسه بينما جسمه يجوع لقلة الفيتامين.

ووضح لنا إذن أن عادات الحضارة التي تعودناها كالطعام الكثير الذي يحتوي على مقدار كبير من اللحم وكذلك تناول الخمور بكمية كبيرة وكذلك الاقتصار على الاطعمة المخزونة أو الاعتماد عليها كثيراً دون الاطعمة الطازجة كل هذا يؤدي إلى السرطان. بينما الاعتدال في الطعام وتناول الاطعمة الطازجة والاقلال من اللحوم والخمور وتجنب الاطعمة المخزونة يقي الجسم من السرطان. وليس للسرطان اذن سبب واحد يؤدي اليه وانما له جملة أسباب. وهذه الأسباب لا تتضح لنا لأنه يحتاج إلى نحو عشرين سنة حتى تظهر أورامه في الجسم أي أنه يحدث بتسمم بطيء مايزال مختفياً ثم يطمو فجاءة. فقد يكون الامساك المستمر سبباً للسرطان في الامعاء لانه يهيجها كما يهيجها أي سم آخر.

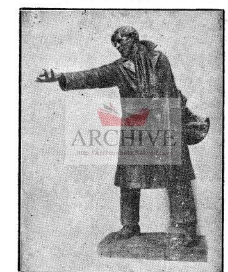
ومن أغرب الظواهر أن السرطان يكاد يكون مجهولا بين الهمج فالزنجي لا يصاب به مادام يعيش معيشته الساذجة يأكل الاطعمة البسيطة الطازجة فاذا تحضر وعاش في الموانى وتعود عادات المتحضرين وأكل الاطعمة الساخنة والكبيسة وأكثر من اللحوم أو الخمور أصيب بالسرطان مثل المتمدنين. فالسرطان هو مرض ناشيء من عادات الحضارة لا أكثر ولا أقل.

ومن هذه العادات مثلا عادة قلما يلتفت اليها طبيب أو ينسب اليها حدوث السرطان وهي تناول الاطعمة الساخنة. فالحيوان والزنجي الساذج لا يذوقان طعاماً أو شراباً ساخناً. ولكننا نحن نشرب القهوة والشاي والحساء وهي ساخنة. والمرىء والمعدة كلاهما لا يحسان بالحرارة احساساً مؤلماً ولذلك فاننا نتجرعها كرعا. ولكن السخونة العالية تسمم الجسم كما يتسمم بالحروق. فمن المعروف أنه عندما يصاب انسان باحتراق بلغ يموت منه. ونظن أن هذا الموت نشأ من صدمة الاحتراق. ولكن الحقيقة انه نشأ من التسمم الحادث من الاحتراق. ولو اننا نزعنا الجزء المحترق من الجسم المصاب ووضعناه على جسم رجل سليم لمات السليم وشفي المصاب. واعتيادنا تناول الاطعمة والاشربة ساخنة يحدث لنا تسمما مستمراً ينتهي بالسرطان.

فكيف اذن نتقي السرطان ؟

يجب الا نذوق طعاماً محفوظاً في العلب ومخزوناً بل يجب أن تكون جميع أطعمتنا طازجة. ثم يجب الا نذوق الطعام أو الشراب الساخن. ثم نعتدل في تناول اللحم أو الخمر ونراعي احتواء الطعام الذي نأكله على الفيتامينات اللازمة. ثم علينا أن نخشى الامساك ونرى فيه ما يعدنا للسرطان ونتجنب أدخنة الاتوموبيل وسائر السموم المعروفة

بدائع الفن الاوربي



تمثال الخطيب — للمثال هورن كوترا



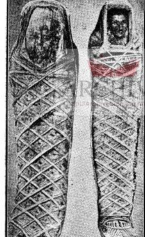
تمثال المفكر — للمثال رودان

فراءة التحنيط عند قدماء المصريين

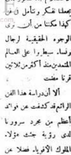
بقلم الاستاذ اليوت اسميث استاذ علم التشريح بجامعة لندن

ان مزاولة تحنيط الموتى عند قدماء المصريين قد أثارت دهشة العالم فى جميع العصور وايقظت حب الاستطلاع فى نفس كل من زار مصر أو قرأ عنها منذ عهد هيرودوتس السائح الأول الذى دون ماأثرت فيه مصر وتقاليدها الغريبة منذ أربعة وعشرين قرنا. ولم يثر دهشته شىء أكثر من تلك المعلومات التى جمعها عن الموميا. وطريقة تحنيطها. واذا صرفنا النظر عن حب الاستطلاع نجد الشعور الذى يجعلنا نفكر ونتأمل فى فن كهذا مكننا من أن نرى الوجوه الحقيقية لرجال ونساء سيطروا على العالم المتمدين منذ أكثر من ثلاثين قرنا مضت

ألا أن دراسة هذا الفن الرائع قد كشفت عن فوائد أعظم من مجرد سرورنا لدى رؤية جثث هؤلاء الملوك الأقوياء فضلا عن تحقيق شعورنا نحو صحة وثبوت التاريخ القديم فان



لفائف الموميا.



اختراع التحنيط كان على صلة تامة بنشر فنون المدنية وصناعاتها بل كانت له علاقة كبيرة بأرسخ العقائد فكان هو منشأ العقيدة القائلة ، هذا الفناء سينتقل حياةوهذا الموت سيستحيل خلوداً ، فان فكرة الخلود عند قدماء المصريين تكونت نواتها من امكان جعل الجثث غير قابلة للفساد أى تحنيطها . فغرابة التحنيط إذاً لاتنحصر فقط فى مظهره بل فيما كان له من الأهمية فى وضع الاسس الجوهرية للمدنية وفى تكوين المعتقدات التى أخذت فى النمو على مر الدهور . ولكن فيما عدا هذه الامور التى يسلم بها مؤرخو الفنون والعقائد فان التحنيط عمل غريب ومخيف لدرجة أدهشت علماء النفس وجعلتهم يتساءلون ماالذى دفع الناس للالتجاء إلى مثل هذه العادة . فان الرأى العام فى العالم المتمدين يشمئز بمجرد التفكير فى

ناووس يوى ام الملكة تى

تقطيع جثة انسان ميت بالرغم من أن طول ممارسة فن التشريح كان يجب أن تجعل هذا العمل مألوفاً بل يلفت الأنظار إلى فوائده والى الحاجة اليه . إلاأنه من الصعب أن ندرك الى أى مدى كان شعور المصريين القدماء نحو الاعتناء بهذا النقص فانهم لم يفكروا فى تحنيط جثث موتاهم إلا لعظم احترامهم بل لتقديسهم لهم ولا بد انهم كانوا يعافون جداً العبث بهذه الجثث بالرغم من أنه عمل لابد منه لاجراء عملية التحنيط . ولكن ربما تبدو فكرة مستهجنة أن تقديس أو احترام الموتى هو الدافع الحقيقى الذى جعل المصريين يحنطون هذه الجثث ويواظبون فى سعيهم ليصلوا إلى هذا الغرض بالرغم من كل النتائج البشعة التى قابلتهم عند

ما كان هذا الاختراع الغريب فى دور البحث والتجربة . ولقد توسعت فى الكلام على هذه النقط لكى أرسم فى ذهن القارى هذه الحقيقة وهى أن اجراءات التحنيط فى منتهى الغرابة والدهشة وأن النجاح فى هذا الفن لم يدرك إلا بعد سنين طويلة كانت كلها تجارب مخيفة مرعبة . وعند مانرى الشعوب الآن فى انحاء العالم يستعملون فى تحنيط الموتى تلك الطرق التى تقلد تماماً ما ابتكره المصريون بعد سنين طويلة امضوها فى جهد متواصل — أقول عند مانرى ذلك لايمكننا أن ننكر أن هؤلاء الناس اكتسبوا هذه المعلومات من مصر سواء اكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة

وغير ذلك من غرائب دراسة المومياء تلك البراهين القوية التى اثبتت أن عناصر المدنية القديمة تشعبت من مصر الى انحاء قارة افريقيا وأوربا وآسيا وفى بدء عصر المسيحية وصلت الى مكسيكا وأمريكا الوسطى

ولكن قبل أن نتأمل فى سعة انتشار التحنيط فى أنحاء العالم لننظر أولا كيف اخترع فى مصر وما هى التغيرات الفنية التى طرأت عليه خلال خمسة وثلاثين قرنا التى قضاها المصريون فى ممارسته

واذا تكلمنا عن المسائل الخاصة بالمصريين القدماء فليس من السهل على معظم الناس أن يكونوا فكرة حقيقية عن قدم العهد الذى نتكلم عنه . فمجرد تقدير بضعة آلاف من السنين كاف لان يشير الى فكرة معينة فى نظر من اعتادوا قياس الأزمنة القديمة بالحوادث لا بالأرقام الحسابية . فكثير منا ينظر الى عهد النورمانديين كأنه أمد سحيق ويعتبر غزو الرومان لبريطانيا كأنه فجر التاريخ مع أنه فى عهد يوليوس قيصر كان الفن الذى نحن بصدده قد وصل فى مصر الى المرحلة الأخيرة من الاضمحلال بعد أن كان شيئاً مألوفا تمتع به الناس لمدة أطول من ضعف المدة من عهد يوليوس قيصر الى يومنا هـــذا . فقد ألم المصريون بالتحنيط قبل أن تكتب أسفار موسى بأجيال كثيرة وقبل أن يأمر يوسف بتحنيط جثة أبيه يعقوب

وفى ذلك العهد السحيق أى منذ ستين قرنا مضت كان المصريون يشيدون معالم المدنية الحقيقية القديمة . وكانوا قد عرفوا الزراعة وطرق الرى واستأنسوا المواشى واستعملوا اللبن طعاما مع الشعير الذى زرعوه . وكانوا قد تعلموا صناعة الأوانى الخزفية بأشكال جميلة ونماذج رشيقة لم يسبقهم اليها أحد ولقد أحرزوا شوطاً بعيداً فى مهارة النقش على أشد الأحجار صلابة بطريقة تشهد لهم بالدقة فى الصناعة وتنطق بما لهم من السجايا الخلقية كالصبر وضبط النفس

ولقد فرضت العادة عليهم طريقة معينة فى دفن موتاهم فى قبور يشترط فيها أوضاع جغرافية خاصة كأن تكون متجهة نحو الشرق ويضعون مع الميت مجموعة مما أدخره فى حياته أو مما يعتقد أهله أنه يحتاج اليه فى حياته الأخرى . أما مسألة نقش القبور فكان لها أهمية كبرى اذ أنها جعلت الناس يؤكدون أن جثث موتاهم لم يحل بها الفساد بعد دفنها بل بقيت غير قابلة للفناء . والرمال الحارة جففت الجثث فى كثير من القبور حتى أن الجلد واللحم والشعر وحتى الأعين ظلت محفوظة حفظاً تاماً . واكتشاف هذه الظاهرة جعل الناس دون شك يتساءلون هل بقاء جثث الموتى معناه اطالة العمر ؟ وربما دفعهم هذا الاعتقاد الى أن يقدموا لموتاهم الطعام والثياب وكل مايحتاجون اليه فى حياتهم اليومية . وبنمو هذه العقيدة وبتقديم هذه الأطعمة والمهمات كان للقبور أن تبنى بطريقة أوسع حتى أصبحت منزلا بغرف واسعة تخصص واحدة منها للجثة بعد وضعها فى نعش من الخشب أو الحجر أو الخزف .

ولكن سرعان ما اتضح أن المأكولات التى كانت تقدم لراحة الموتى اتت بعكس المقصود منها تماماً اذ ان الجثث التى وضعت فى تلك المقابر الضخمة فقدت ما كانت تكتسبه من الجفاف من ملامستها للرمال الحارة التى فى اللحود البسيطة . ألا أنهم شرعوا فى عهد الأسرة الأولى أى سنة ٣٤٠٠ ق . م . فى عمل التجارب الفنية لملافاة ذلك فاستعملوا ملح الطعام والنطرون الخام وراتنجات مختلفة (Resins) وكانوا يعتبرون الأشجار التى تمدهم بهذه الراتينجات كأنها « أشجار الحياة » أو أشجار سماوية يذكرونها دائماً مع الاله ازوريس واهب الحياة

وأقدم مومياء معروفة الآن محفوظة فى متحف كلية الطب (بلينكولون) وجدها الاستاذ فلندرز بترى عام ١٨٩٢ بجوار هرم ميدوم وهى من عهد الملك سنفرو فى الأسرة الثالثة أو الرابعة . ورغم أننا غير واثقين بالضبط متى تحنطت هذه الجثة الا أنها فى الغالب ترجع الى عهد هرم ميدوم واذا حكمنا بمقتضى الاجراءات الفنية التى اتخذت فى لف الجسم بناء على المدلولات التى جمعها الاستاذ جورج ريزنر من مقبرة اهرام الجيزة يمكننا أن نؤكد أن هذه الجثة من الاسرة الخامسة . ورغم أنها أقدم مومياء عثر عليها فقد وجد فيها اجراءات معينة للتحنيط يرجع عهدها الى الأسرة الثانية عام ٣٠٠٠ ق . م . ومن هنا يتضح أن تجارب التحنيط كانت تعمل منذ عهد الاسرة الاولى ٣٤٠٠ ق . م .

أما الجثة التى وجدها المستر كويبل بجوار هرم سقارة فى ديسمبر سنة ١٩١١ المحفوظة الآن فى كلية الطب بلندن فقد وجدت ملفوفة بسلسلة من الاربطة وضعت بطريقة توضح كل

أجزاء الجسم وبذلت عناية خاصة بلف الوجه والرأس حتى أنه يخيل للناظر أنها كتلة من الجبس داخلها هيكل انسان . والآثار التى على الأربطة الداخلية الملامسة للجلد تدل على أن اجراءات التحنيط كانت فى نفس الجسم . ولكن فى الجثة التى وجدت فى هرم ميدوم كانت الأربطة نفسها مشبعة بمادة كالعجينة أما الغلاف الخارجى فقد لوحظ أن يكون بشكل الجسم ورسموا عند الوجه الأعين والشاربين باللون الأخضر والبنى وداخل هذه الطبقة كان الجسم محفوظاً تمام الحفظ . وأهمية كل هذه الأعمال تنحصر فى ايضاح غرضى التحنيط وهما أولا حفظ الجسم وثانياً عمل صورة خالدة للمتوفى . فكان المسعى أولا يدور حول تحويل الجثة نفسها بعد لفها الى تمثال خالد ولكن عند ماتعذر عليهم ذلك كانوا يصنعون تمثالا من الحجر أو الخشب أو الجبس ويلونونه بالألوان الطبيعية للميت . ويمكننا أن نفهم الفكرة التى أوحت الى هذا الفن من الكلمات التى كان يستعملها المصريون أنفسهم فى تسمية نوع العمل فكان المثال يسمى « المحيى » وعملية النحت عبروا عنها « بالتوليد » أو « الخلق » وكانوا يعتقدون فى الفنان أنه يصنع صورة حية طبق الأصل للميت بحيث تكفل له الاستمرار فى حياته

ولقد مضى بعد تحنيط سنفرو آلاف من السنين جعلت معلوماتنا قليلة جداً عن طريقة التحنيط فان بعض الجثث التى ترجع الى سنة ٢٠٠٠ ق . م عثر عليها المستر جارستانج فى بنى حسن والمستر كويبل فى صقارة والمستر ماك وويلوك فى اشت وطيبة كانت كلها فى حالة هشة جعلت نقلها مستحيلا . وفى الهرم المحطم للملك امنحتب الثانى بالدير البحرى وجدت جثث ست زوجات وطفل لهذا الفرعون ترجع الى عهد الأسرة الحادية عشرة وجدها موظفو متحف القاهرة والاستاذ نافيل والمستر هربرت ويلوك وكانوا يشتغلون فى التنقيب من قبل المتحف المصرى والانجليزى ومتحف متروبوليتان بنيويورك وهذه هى أقدم جثث للملوك تحنطت حوالى سنة ٢٠٥٠ ق . م . وطريقة التحنيط التى ظهرت فيها تختلف عن كل باقى الجثث المصرية . ومما يستحق الذكر أن اثنتين منها كان بهما آثار وشم لم تره فى أى جثة أخرى من قدماء المصريين فضلا عن أنهما كانتا أقدم أنموذج لهذا الفن الغريب

وقد بلغ نجاح التحنيط فى مصر الى ابعد مدى ابتداء من عهد الاسرة الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين أى من ١٥٨٠ الى ٩٤٥ ق . م . لأنه بعد طرد حكام الهكسوس وغزو فلسطين وسوريا أرسل الحكام المصريون الحملات الى تلك البلاد والى السودان وأفريقيا الشرقية وجنوب بلاد العرب فأحضروا معهم كميات كبيرة من الراتينجات والبلاسم والأخشاب شجعت المحنطين على ممارسة فنهم بنجاح لم يصلوا اليه قبل أو بعد ذلك العهد

وفى عهد الاسرة الثامنة عشرة تقدم التحنيط تقدما سريعا جدا ظهر فى جثث تحتمس — امنحتب الثانى — يوا — تيوا والدى الملكة تى اذ اننا نرى فى هذه البحث صورا واضحة لهؤلاء الملوك كما لو كانوا على قيد الحياة . ولكن فى الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٥ ق . م .) احرز الفنيون نجاحا اعظم فى تحنيط سيتى الاول ورمسيس الثانى فنطقت جثتاهما بما كان لهما من القوة والعظمة

وفى أثناء الفوضى التى فشت فى نهاية الأسرة العشرين كان ضعف الحكومة سببا فى جعل المقابر الملوكية فى وادى الملوك تحت رحمة اللصوص ونابشى المقابر . فهناك فى مجاهل ذلك الوادى المتسع (وادى الملوك) كانت تخبأ اكبر كمية من الذهب والاحجار الكريمة أمكن تكديسها فى مكان واحد قبل أن تستولى الولايات المتحدة الامريكية على ذهب العالم . فالاكتشاف الحديث لمقبرة توت عنخ امون اوضح لنا الى أى حد كان المصريون يسرفون فى تجهيز مقابر ملوكهم فاذا كان مثل هذا الملك الشاب أمكنه أن يستولى على هذه الثروة الطائلة فى عهد كانت البلاد فيه فقيرة فأى صورة تلك التى تتخيلها عند ما نفكر فيما تجهزت به مقابر الامبراطرة العظام مثل تحتمس الثالث وامنحتب الثالث وسيتى الاول ورمسيس الثانى الذين سيطروا على العالم المتمدين بأجمعه أبان حكمهم وهذه الثروة الهائلة المكدسة فى الصحراء كان لها نتيجتها المحتومة عند ما ضعف الحكم الداخلى بمصر فى الاسرة العشرين ففشت سرقة القبور بدرجة واسعة حتى ان جميع مقابر وادى الملوك (ماعدا قبر توت عنخ امون) لم تسرق فقط بل تجردت تماما من كل ما بها من الذهب والاشياء الثمينة . ولكن قبل إنتشار هذا النهب الفظيع كان بعض العمال الذين يشيدون القبور وينحتونها فى الاحجار ينتهزون الفرص لسرقة القبور المجاورة لأن رداءة الغذاء والشروط غير الصحية للعمل سببت اضراب عمال القبور . ولا شك فى أن هذه الفتن كانت باعثا لهؤلاء العمال على السرقة ولدينا بعض محاضر لهذه الاضرابات فى السنة التاسعة والعشرين من حكم رمسيس الثالث ١١٦٤ ق . م . وفى عهد رمسيس الرابع حوالى ١١٣٠ ق . م . وقد كان لعمال قساوسة الاسرة العشرين والحادية العشرين اثر مباشر فى تغير الطرق الفنية للتحنيط لانهم أدركوا ان كثيرا من الجثث لم تكن مشابهة تماما للحقيقة فابتدأوا يبتكرون طرقا جديدة لجعل المومياء أقرب ماتكون الى الشكل الطبيعى . فادخلوا تحت الجلد بعض المواد كالكتان أو الطين لملافاة التقلص والاعوجاج اللذين نراهما فى المومياءات القديمة كذلك أدخلوا العيون الصناعية وطلوا الأنف والفم والأذن والأعين بطبقة من الشمع لحفظها من الالتواء وعند ذلك تخيل المحنطون أنهم وصلوا الى الغرض الذى كافح من أجله اجدادهم أكثر من عشرين قرنا فقد إصبحت المومياء لاتختلف شيئا عن الجسم الطبيعى للانسان بل كانت تمثالا واضحاً له بعد ذلك شرعوا فى جعل المومياء تحوى كل أجزاء الجسم بقدر المستطاع لانه جرت العادة منذ القدم أنهم ينزعون كثيراً من

أعضاء الجسم ليسهلوا عملية التحنيط لكن القلب والكليتين كان يتركها المحنط فى مكانها من الجسم لما لها من الاهمية . اما الاعضاء الباقية التى كانت تنزع فمنها أربعة كانت موضع الاهتمام وهى الكبد والرئتان والمعدة والأمعاء فهذه كانت تحنط بعناية ثم توضع فى أربعة برطمانات تحفظ فى المقبرة مع المومياء تحت رعاية الابناء الأربعة للرب هوروس وبعد الاسرة الثامنة عشرة كانت هذه البرطمانات تميز عن بعضها بأن يغطى كل منها بغطاء له شكل خاص فالذى يحوى الكبد يكون غطاؤه بشكل رأس انسان وغطاء الرئتين رأس قرد والمعدة رأس ابن آوى والامعاء رأس صقر . ولكن فى الاسرة الحادية والعشرين عند ماأتجهت النية لجعل المومياء كاملة ماأمكن كانت هذه الاعضاء تحنط داخل الجسم فكانوا يصنعون انموذجا لاحد أبناء الآله هوروس من الشمع أو الطين أو الخزف يضعونه مع العضو كأنهم يأتمنونه عليه ثم يلفون الجميع فى أشرطة من الكتان ويضعون ذلك الملف داخل الجسم مع باقى الاعضاء الاخرى . ولكن بعد ذلك اصبحت الاجراءات التى كانت تعمل للمحافظة على تقاسيم الجثة من الصعوبة بمكان عظيم وتشوهت بعض الجثث فعلا فاضر ذلك كثيراً بسمعة فن التحنيط . ولذلك بذلت عناية فائقة فى زخرفة سطح المومياء حتى أنه فى الاطوار التى تلت ذلك وخصوصا فى عهد الاغريق والرومان شاعت طريقة زخرفة المومياء والنعش بزخارف ونقوش بديعة . وعند مادخلت المسيحية فى مصر وحرم الاساقفة الاولون عادة تحنيط الموتى رفض الناس الاقلاع عن عادة زاولها أجدادهم أكثر من ثلاثين قرناً . ورغم أن مجهود هؤلاء القساوسة قد فشل فى وضع حد لهذه العادة فان بعد غزو العرب لمصر قد باد هذا الاختراع الذى يعتبر من معالم المدنية المصرية . وبذلك غربت شمس هذا الفن فى مصر رغم أنه ظل بعد ذلك منتشراً فى جهات أخرى . فقد انتقلت هذه العادة قديماً الى فلسطين وسوريا وعمت شمال أفريقيا منذ القرن السادس قبل الميلاد وكذلك فى النوبة والسودان وأوغندا وحوض النيجر والكنغو وبعد ذلك توغلت فى أنحاء أفريقيا وفى جزائر كنارى ومدغشقر . وبانتشار العلوم فى القرون التالية انتشر التحنيط فى أوربا والهند وانتقل من الهند وسيلان الى برما والهند الصينية وجنوه الجديدة واستراليا وميلانيزيا . وفى أوائل عهد المسيحية وصل لجزائر بولينزيا وبيرو وأميركا الوسطى وفى الوقت نفسه انتشر على السواحل الشرقية لآسيا من جزائر اليوتيان الى الساحل الشمالى الغربى لامريكا

وهكذا يمكننا أن نقول أن فن التحنيط يقدم لنا البرهان القاطع على ما كان لمصر من الفضل فى ابتكار أصول المدنية التى انتشرت فى جميع أنحاء العالم

عن الانجليزية — باوى ميخائيل

ثورو : اديب امريكي

« العصيان المدني »

نسمع هذه الكلمة هذه الأيام من رجل الهند غاندي الذي أذاعها بين بني وطنه للدعوة الى الامتناع عن دفع الضرائب



هنري ثورو

ولكن غاندى لم يخترعها وانما هو نقلها من رجل أمريكى يدعى ثورو عاش قبله بنحو سبعين سنة

وعصيان الحكومة الذى هو المقصود من « العصيان المدنى » ليس من الامور التى تسيغها أى حكومة فى العالم . ونحن فى عصرنا هذا نجيز للانسان أن ينشق على دينه وطائفته الملية وان يقوم ويدعو الى دين جديد ويبنى له معبداً . ولكننا لانجيز لانسان ان ينشق على حكومته ويقيم الى جنبها حكومة أخرى يدعو الناس الى الخضوع لها . وقد تتسامح الأمم المتمدنة فى الانشقاق من الحكومة من حيث الدعاية فقط . فالحكومة الفرنسية جمهورية ولا تتسامح فى الدعاية الملوكية ولا تعارض فى ايجاد حزب يدعو لها . وكذلك يتسامح كثير من هذه الحكومات فى الدعاية الشيوعية . ولكنه تسامح فى الدعاية فقط . أما اذا لجأ الحزب القائل بالشيوعية أو الملوكية على الانشقاق العملى من الحكومة واقامة حكومة اخرى الى جانبها ملوكية أوشيوعية فان هذا العمل تقاومه الحكومة عندئذ بكل ماعندها من قوة وسلاح . لأن المقصود بالتسامح هو حرية التفكير السياسى وليس حرية العمل السياسى

وقد يأتى يوم فى المستقبل البعيد يجاز فيه للناس الانشقاق من الحكومة كما يجاز لهم الآن الانشقاق من الدين وعندئذ يصبح « العصيان المدنى » الذى دعا اليه ثورو ثم غاندى وحبس كلاهما من أجله حقا من حقوق كل فرد

وليس « العصيان المدنى » الرابطة الوحيدة بين غاندى وثورو . فان فى كليهما نزوعا الى النسك . وهو ليس نسك الرهبانية والاحجام عن السعى والانكفاف عن الدنيا وانما هو نسك الحياة الفطرية الساذجة الخارجة على حياة المدنية المتكلفة . فكل منهما قد عاش بأقل مايمكن من الحاجات وقد هجر المدن الى الريف وطلق الحضارة ولكنه مع ذلك لم يطلق الثقافة . فقد كان ثورو يعيش فى عشة وسط الحقول يستخدم نفسه فى القرى المجاورة فاذا ربح من كد يديه مايكفى طعامه وكساءه عاد الى عشته بمقدار كبير من الكتب وقضى كل فراغه فى التثقف . وكذلك غاندى يعيش الآن قانعا بأقل الحاجات من طعام أو لباس ولكنه يقضى فراغه — بعد العمل على المنسج — فى التثقف

وثورو علم من أعلام الأدب الامريكى يشبه عندالأمريكيين روسو عند الفرنسيين . كلاهما منتقض على الحضارة نازع الى الطبيعة والفطرة . وكلاهما أديب تقرأ مؤلفاته الآن للذة الفنية كما تقرأ أحياناه للايحاء والعبرة . وقد كان ثورو ايحاء للهنود وضع لهم هذه الكلمة « العصيان المدنى » فنمت فى قلوب الوطنيين كأنها الجسم الحى وقاومت الجبروت البريطانى . وهكذا الافكار

الخصبة تحيا وتتفشى كالخمائر الحية فتبعث الحياة اينما وجدت

° ° °

ولد ثورو سنة ١٨١٧ ومات سنة ١٨٦٢

وقد تربى التربية الامريكية المألوفة وتخرج من جامعة هارفرد ثم اشتغل مدة بالتعليم وترك المدرسة التى كان يعلم فيها لأنه لم يرض باستعمال العصا . وهذه الكراهة للعصا هى رابطة اخرى بينه وبين روسو مؤلف « أميل » .

وعرف ثورو امرسون فانعقدت بينهما صداقة دامت مدى حياتهما . وفى سنة ١٨٤٥ قصد ثورو الى ضيعة لصديقه أمرسون وهناك فى وسط الحقول أقام عشته . أما قصده من هذه العشة فهو « ان يقرأ ويتأمل ويرتب مؤلفاته ويدرس الطبيعة التى يحبها ويتفاهم مع نفسه » .

وهذه الجملة الأخيرة تدل القارىء على القلق الذى كان يساوره فقد بقى بعشته هذه سنتين وهو يفكر فى « الحياة الفاضلة » ماهى وكيف نمارسها . وفى هذه المدة اصطدم بالحكومة فانه رفض ان يدفع الضريبة الشخصية وجرت على لسانه تلك الكلمة التى يذكرها الآن غاندى وهى « العصيان المدنى » وأعلن هذا الاعلان الغريب :

« ليكن معلوما عند جميع الناس أنى أنا هنرى ثورو لا أرغب فى ان أعد عضواً فى هيئة اجتماعية لم التحق بها » .

وكان قد سبق ان انشق من الكنيسة ولكن الانشقاق من الدولة كان أخطر جداً من الانشقاق من الكنيسة . فان الشرطة قبضت عليه وأودعته السجن . ورأى السجان فيه رجلا آخر غير ما اعتاده فى المساجين فعرض عليه ان يدفع عنه الضريبة . ولكن ثورو رفض

ويحكى ان صديقه امرسون زاره وهو فى سجنه وبدأه بقوله :

« ثورو . لماذا أنت هنا ؟ » .

فاجابه ثورو : « امرسون . لماذا أنت لست هنا ؟ » .

وكانت له عمة سمعت باعتقاله فحضرت ودفعت الضريبة على الرغم من رفضه . فاطلق سراحه ومات فى الخامسة والاربعين من عمره بمرض أسرته وهو التدرن . ومع أنه قضى معظم حياته فى الهواء الطلق فان جسمه لم يتحمل هذا المرض

° ° °

والآن قد يتساءل القارىء : ماهى رسالة ثورو ؟

فالجواب على ذلك ان حياته نفسها هى الكتاب العظيم الذى تركه لنا للقدوة . فقد رأى أن للدنية تكاليف تستغرق الوقت والجهد فى حين أنه يمكن كلا منا ان يقنع بالقليل من الطعام واللباس ثم يوجه جهده نحو ترقية شخصيته . فهو لم يؤلف كتاباً وانما ألف حياة ومارس من الادب معيشة ولم يمارس منه فنا . فقد رأى ان غايته من الدنيا ان يكمل شخصيته ولكنه رأى أيضاً أن الحضارة تعوقه عن ذلك فترك الحضارة أو أقلع عنها كما يقلع الانسان عن عادة سيئة ثم قصد الى الريف فعاش هنالك . ولكنه لم يهمل تثقيف نفسه بل هو . فى سبيل انماء شخصيته ، مارس جملة صناعات يختبرها ويكسب بها ليزداد خبرة بالدنيا والناس . فكان فلاحا يزرع الارض وصانعاً يصنع أقلام الرصاص ومساحا ومؤلفاً ومحرراً لاحدى المجلات ومحاضراً ونجاراً . وكان ينعى على المدنية ميلها الى تخصيص الناس كل يعمل عملا لا يعمل غيره . وكان يرى فى هذا التخصيص تضييقا للشخصية وعرقلة للنمو

وله مؤلفات فى وصف الطبيعة ويوميات وأشعار هى الآن من تراث الادب الامريكى ولكنها دون حياته التى كانت همه الأول لانه أراد ان يعيش قبل ان يؤلف





نظريات التطور ورجالها

اذا اعتبرنا التطور حقيقة واقعة فاننا نجد جميع العلماء — بلا استثناء — يسلمون به. ولكن اذا اعتبرنا الطريقة كيف يحدث التطور وكيف يصير النوع سلالات متباينة ثم تعود السلالات فتصير أنواعا مستقلة. فاننا نجد جملة نظريات عن هذه الطريقة أى أننا نجد اختلافا كبيرا بين العلماء.

ومعنى ذلك أنه ليس هناك اختلاف فى حقيقة التطور ولكن الاختلاف قائم فى طريقة التطور.

ونحن نريد هنا ان نعطى القارىء لمحة عن هذا الاختلاف ومداه لكى يزداد بصيرة فى المناقشات التى تدور حوله

فمن الثابت ان كثيرين من القدماء لمحوا لمحات غير واضحة فى موضوع التطور وأشاروا الى أن الجماد يستحيل الى نبات وحيوان وان فى كل من هذين الوضيع والسامى وأن الانتقال من نوع الى نوع ممكن. ونرى كثيراً من هذه الآراء عند العرب والاغريق والرومان

لامارك

ولكن أول من لفت الانظار الى هذا الموضوع فى العصر الحديث وحاول أن يعلل التطور تعليلا علميا هو لامارك الفرنسى (١٧٤٤ — ١٨٢٩) فانه قال بأن الاستعمال والاهمال يؤديان الى عادة تثبت فى الجسم فيورثها الفرد أبناءه. ومازال فى ازدياد وثبات حتى تصير صفة جسمية. فاننا نرى مثلا ان الصياد تقوى ذراعاه بالتجذيف. والعداء تقوى ساقاه بالعدو. فاذا استمر كل منهما دائبا مدى حياته فى ممارسة هذه العادة. ثم أخذ الابناء والاحفاد عمل الآباء والجدود حقبة طويلة من الزمن. صارت قوة الذراعين أو الساقين وراثية

فالغزال الآن سريع العدو دقيق الساق لهذا السبب أي لان أباءه مارست العدو آلاف السنين الماضية . وللثور قرون لأنه مارس النطاح مدة طويلة حتى تقرن جلد رأسه ونشأت له قرون . والطيور طارت لانها كانت فى الاصل زواحف تقفز وما زالت فى القفز حتى صار طيرانا

ولكن هذه النظرية لم تقنع معاصريه . وجاء داروين الانجليزى (١٨٠٩-١٨٨٢) فعلل التطور بتنازع البقاء والف كتاباً سنة ١٨٥٩ عنوانه « أصل الانواع عن طريق الانتخاب الطبيعى » وخلاصته أن ما يحدث فى الدواجن



داروين

التى نربيها يحدث فى الطبيعة . فنحن ننتقى بعض الخواص التى نرغب فى بقائها فى الخيول والبقر والخراف والدجاج ونستنتجها . فاذا مر الزمن الكافى أمكننا ايجاد السلالة المطلوبة . وهكذا الطبيعة تحدبين حيوانها ونباتها تنازعا عظيما على البقاء . فلا يعيش الا ذاك الذى يناسب بيئته . أما غيره الذى يكون به أى نقص فانه يموت . وهذا معناه أن الطبيعة تنتخب المناسب من الحيوان والنبات وتبيد غيره . وقد وافق وولاس الانجليزى (١٨٢٣ — ١٩١٣) داروين على هذا الرأى واشترك معه فى القول به . ولكنه اختلف منه فى الانسان . فانه رأى أن الانسان شاذ لايجرى عليه ماجرى على الحيوان . ثم أخذ بعد ذلك يدرس الارواح التى تخاطب الناس وتنقر على الموائد

وفي حياة داروين وبعده عاش اثنان كان لكل منهما فضل كبير في نشر نظرية التطور. أولهما هكسلي (١٨٢٥ – ١٨٩٥) الذي وقف حياته على الدفاع عن داروين. وأراؤه هي أراء داروين نفسها. والثاني هو هيكل الألماني (١٨٣٤–١٩١٩) وقد كان له أثر سيء في نشر هذه النظرية لانه قال بان أصل الانسان قرد. ولم يكن داروين قد قال هذا القول وذاع عن هيكل هذا الكلام فاساء الى النظرية وجلب عليها سخط كثيرين من الجمهور وجعل منها مهزأة لخصومها



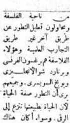
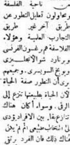
وولاس

ثم ظهر اثنان كلاهما يؤيد داروين في القول بان العامل في التطور هو الانتخاب الطبيعي أولهما الراهب النمسوي مندل (١٨٢٢ – ١٨٨٤) وثانيهما العالم الالماني فيسمان (١٨٣٤ – ١٩١٤)

فقد وجد مندل اننا بدرس الوراثة نجد أن هناك سمات تنزع منزعاً لا علاقة للوسط به. وانما العلاقة هي السلالة التي نشأ منها الاب أو الام. فالفرد هو في حقيقته ليس ابن أبيه أو أمه وانما هو ابن السلالة الابوية أو الامية أو ما بينهما. فكان الصفات المكتسبة التي قال بها لامارك لا يمكن أن تورث

أما فيسمان فقد بحث الموضوع من جهة أخرى. فوجد أن الجراثيم المنوية لا تتأثر بالجسم الذي تعيش عليه. فهي تغتذي منه ولكنها تنمو وتتكاثر وهي مستقلة منه. فنحن نتسلم هذه الجراثيم من أبائنا ونسلمها لابنائنا بدون أن تتأثر بنا أقل تأثر. ولذلك لحياتنا ونوع المعيشة التي نعيشها لا قيمة له أصلاً في تطور السلالات. وانما يحدث التطور كما قال داروين بالانتخاب الطبيعي فقط

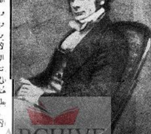
والى هنا نحن نتكلم عن علماء التطور. ولكن لهذه النظرية فلاسفتها الذين يعالجونها

من ناحية الفلسفة ويحاولون تعليل التطور عن طريق آخر غير طريق التجارب العلمية وهؤلاء الفلاسفة هم برغسون الفرنسي وبرنارد شو الانجليزي ويونغ السويسري. وجميعهم يرى أن التطور صفة الحياة لأن الحياة بطبيعتها تنزع إلى الرقي. وسواء أكان هناك تنازع بقاء بين الافراد يؤدي الى انتخاب طبيعي أم لم يكن هناك ذلك فان الفرد يرتقي بطبيعته

ويمكن أن نلخص الموقف الآن في هذه المدارس الثلاث؟

١ ــ المدرسة الداروينية التي تقول بالانتخاب الطبيعي



هكسلي

اساسا للتطور

٢ ــ المدرسة اللامار كية التي تقول بالعادة (أي الاستعمال أو الاهمال) أساساً للتطور

٣ ــ المدرسة البرغسونية التي تقول بأن التطور طبيعة الكائنات الحية. وكفى





عبـــــاس محمود العقـــــاد

الشاعر والأديب المصرى

بقلم الاستاذ درينى خشبة

° ° °

١ — مقدمة
٢ — العقاد الشاعر
٣ — العقاد الكاتب
٤ — عقيدته وآراؤه فى الحياة
٥ — العقاد وأناتول فرانس
٦ — العقاد وماكس نوردو وكانت
٧ — مستقبل العقاد

° ° °

الحياة الأدبية فى مصر مرتبطة ارتباطاً سخيفاً بالحياة السياسية التى تطغى على كل شىء وهى لاتطغى على شىء إلا أفسدته . ولسنا ندرى لم لا تقوم لنا آداب تستقل برجالها عن السياسة التى تجعل من أبناء الامة الواحدة خصوماً متنافرين بدل أن يكونوا فى ميدان الآداب أخوة متحابين ؟ فهذا الكاتب من كتاب الوفد يفتتن به الوفديون ؛ والآخر من كتاب الدستوريين يفتتن به الدستوريون ، ولن تعرف الفئة الأولى كاتب الفئة الثانية ولا الثانية كاتب الاولى مهما كان هذا أو ذاك من بارزى كتاب الامة وفى طليعة أدبائها ! ! وكلنا حين يطبق هذه الملاحظة على نفسه يجدها تلابسه ملابسة قاسية بحيث يرى نفسه آخر الامر موقوفاً هواه على فئة بعينها من الكتاب لايعدوها الى غيرها : . . وهل تكون نتيجة ذلك الا ان يجهل المصريون أدباءهم فتبوء كل حركة يراد بها تجديد الادب المصرى بالهزيمة ويقضى على كل محاولة لخلق الادب القومى بالبوار ؟

كم من المصريين لايعرفون الاديب هيكل لانه كاتب الاحرار السياسى ، وكم من المصريين لايعرف الاديب العقاد لأنه كاتب الوفديين السياسى ! وقد كان لنا البلاغ الاسبوعى وكانت لنا السياسة الاسبوعية وهما مجلتان أغلب مافيهما أدب خالص ، ولكن كم من المصريين كانوا

لايعرفون البلاغ الاسبوعى لانه ينتمى الى الوفد ولم منهم لم يكونوا يعرفون السياسة الاسبوعية لانها صحيفة من صحف الدستوريين !

ولقد كنا نهفو الى تكوين مجمع على للثقافة المصرية فما هو ألا ان تكون والتأم شمله حتى رأينا الغول السياسى يكشر عن نابيه وينشب أظفاره ويسعى بالدس والوقيعة بين أبناء الامة الواحدة فيتمحل الاعذار الواهية كى لاينضم اليه العقاد وهيكل وعنان والمازنى ويزيد الطين بلة فيطرد بعض الاعضاء المصريين مع انه يسمح لدخيل لايمتزج دمه بذرة حب لهذا الوطن بأن يكون من اعضائه ، وان يقف ليحاضر المؤتمرين فيظل يتشدق فى غير تورع ولا حياء بالايادى السوداء التى أسداها لهذه البلاد المنكوبة به

على أنا نحمد الله الذى ألف بين قلوبنا ، وكشف هذه الغمة السياسية عنا وجعلنا نقرأ العقاد ونعجب به كما نقرأ هيكل وطه حسين ونعجب بهما

ونحن حين ندرس العقاد فى هذه الكلمة القصيرة نعد هذه الدراسة قربانا تبله دموعنا وتزكيه أرواحنا ليحمله ملك الشعر اليه فى سجنه السحيق

العقاد الشاعر

قد يعرف الكثيرون أن العقاد شاعر وان له ديوانا مطبوعا ، أما ان يكون هؤلاء الكثيرون قد قرأوا هذا الديوان من الشعر فأمر مشكوك فيه دون ريب ، أجل ، أن الذين قرأوا شعر العقاد قليلون جدا ، وبعض أولئك القليلين قد تفقوا مافيه وتباشدوه فى تقدير وأعجاب هو جد خليق بهما ! ، وليس سبب هذه القلة هو عزوف الناس فى هذا الزمان عن الشعر ، فشوقى مثلا لايكاد يطبع ديوانه حتى تنفد جميع الأعداد من المكاتب ، وفى ذلك مافيه من عناية الناس بشعر شوقى — فما السبب اذاً فى قلة قراء شعر العقاد الذى يطاول شعر شوقى ويسمو عليه بمزايا عديدة ؟ ! مانحسب لذلك من سبب ألا طغيان السياسة الذى حدثناك عنه وطغيان الناحية السياسية من حياة العقاد نفسه على جميع نواحيه الادبية . ثم أن العقاد لم يكن من الذين يطبلون بشعرهم على صفحات الجرائد ويزمرون طمعاً فى شهرة أو ابتغاء ترويج للديوان فى المستقبل ، بل على العكس فان العقاد من الشعراء الذين ينظمون لانفسهم أكثر مما ينظمون لغيرهم ويبكون بالشعر اذا حزبهم خطب ويضحكون اذا رويت قلوبهم بما تروى به قلوب الناس . العقاد يغرد لنفسه ، فاذا سمعته يشدو فكأنه تجتمع

فهو يصنع هذا ليسدد الديون التى عليه للجماعة التى يحيى فيها ، والجماعات التى سيخلد فيها ذكره ويتجدد اسمه — هو يؤدى هذه الديون فقط حين يجمع شعره المتأجج فى ديوان ينشده على الناس ليخلى يديه من حقهم عليه ، وليخلو بعد ذلك الى ملائكته يستوحيها فتلهمه الشعر والسحر ، ويصوغها هو على الطرس بيانا وحكمة ، ورقائق تفتن وتصبى !

ولقد كنا نهيم بالشوقيات مثلا الى غير حد فلما نشر العقاد ديوانه أحسسنا بظمأ شديد الى هذا اللون الجديد من ألوان الشعر التى تترجم عن الطبيعة وتفيض بالحكمة ولا تبهرج على الناس بالكلام عن تصريح ٢٨ فبراير ومزايا مشروع ملنر وحرب الاتراك فى البلقان وطرابلس والسلطان فى عرفات والريحانى افندى والخلافة والأسطول العثمانى . . . الخ الى آخر ما فى الشوقيات من هذيان وسخف يجعلان من مصر أمة مستعبدة لا قومية لها ، بل يسمان آدابنا بميسم الرق والعبودية تحت نير أمة الاتراك التى كادت تمحق مصر والمصريين

ولسنا نغلو فيما نقول بصدد الشوقيات التى تضم الى جانب هذا السخف السياسى شطراً لا بأس به من الشعر الفريد ولكنه شطر قليل للاسف . أما الرأى الذى يقول به بعضهم من أن شعر شوقى السياسى سيكون سجلا للحوادث فيما يلى من الزمان فرأى مأفون تفنده المطبعة التى وضعت حداً ظاهراً بين العصر الهوميرى القديم وعصرنا الحديث ؛ ؛ ولسنا ندرى ماذا عسى أن تكون حاجة المؤرخ فى المستقبل الى شعر شوقى يستخلص منه الحوادث السياسية وشوقى نفسه ذات كوردة الرياح فى هذا العصر لا يثبت هواه فى ناحية حزبية معينة فهو فى حفلات الحزب الوطنى ضد الوفد وفى حفلات الوفد ضد هذا الحزب . . . وهكذا . . . ولله هذا المؤرخ حين يقرأ قصيدته فى تأبين المرحوم أمين الرافعى ثم لله هو حين يقرأ قصيدته فى ابلال المغفور له سعد زغلول ثم للشيطان هو حين يقرأ فى نفس الجزء قصيدة ٢٨ فبراير !!

من هذه الوجهة ومن وجهات كثيرة يفضل ديوان العقاد دواوين كثيرة مما تخرجه المطبعة العربية وفيها الشوقيات

والعقاد بمصريته الصميمة وحين تسمعه يهتف دائماً بحب هذا الوطن المعذب يعدل بقصيدة واحدة من هدله العذب جماعة الكتاب الرجعيين ومن يلفون لفهم والناخين فى بوق المذلة والاسترقاق — فهو فى ديوانه روح هائمة تسبح فى آفاق مصر تناجى سهلها وجبلها ونهرها وصحراءها وكل ذى نأمة فيها ، ثم يستشرف الى سمائها فيناغى لازوردها الناصع ونجومها المتلألئة وبدرها الوضاء . فاذا تنفس الصبح فهو فى فمه نسمة رخية ندية ترف على الزهر

فى حديقتك أو عصفور يسقسق فى شرفتك كرسول الرحمة يبشرك باشراق ذكاء. . . .

فاذا كنا قد اعتزمنا تجديد القومية المصرية التى أخذت هذه المجلة على عاتقها أنهاضها والدعوة لها فكيف ننسى بعد شاعر هذه القومية وترجمانها الصادق والأديب الذى يتصل بروحك ويتغلغل فى أعماق نفسك حين يسرى بك من حلفا الى شطئان الأبيض المتوسط فيقرئك آيات هذا الوادى العجيب الساحر بما يحفه من بيد ساكنة وما قام على عدوتيه من جبال مطمئنة . وناّم فى سفوحها من نضرة النبت الأخضر وبسق فى جوها من دوح جميل!!

والعقاد عالم مثقف ولذلك فهو لايستهويك بأخيلته الرائقة فقط بل هو يفتنك بما ينثره فى كل ناحية من ديوانه من فلسفات ناضجة وآراء لما خطرها — وما تخالك تتلو قصيدة له فى أى غرض من الأغراض حتى ترى الشعر يمتزج بالحكمة امتزاجا هينا حلوا لا يملك ولا يسئمك — فهذه قصيدته (البدر فى الصحراء) ماتكاد تقرأها حتى تحسبك قد أسرى بك الى السماء وتركت هناك تفكر فى هذا الملكوت الرحب :

ياساريا بين صحراوين ملؤهما	بيض الرمال ونجم ماله عدد
أتبعتك الطيف . لاأدرى أمفتحم	كلتا طريقيه أم يلوى به العهد
أمسيت تسلك داراً لا شهيد بها	ولا يحيك فيها الطائر الغرد
نامت وللريح فى أكنافها سمر	والليل يمشى عليها وهو متئد

الى أن يقول :

والنفس تسمو بها الأضواء تغمرها	كالماء يسمو على أثباجه الجسد ...

وقصيدته فى وصف الخريف :

حتى الغمائم فى السماء كأنها	طير سرت فى مستهل ربيع
ترفو حواشيها الرياح وتنتحى	أوساطها بالفتق والترقيع
والدوح مهدول الأرائك ساهم	كالعاشقين هنيهة التوديع
والشمس ساهية الشعاع كمقلة	وطفاء جللها البكى بدموع
ضحك الطبيعة فى الربيع كأنه	ضحك الغريرة فى عناق خليع
فاذا تبسم فى الخريف جبينها	ألفيت نظرة ريبة وخشوع

ولا نرى أن نكظ مقالنا القصير بالمختارات العالية التى يزدحم بها الديوان وسنشير فى الكلمات التالية ألى غرر منها

والعقاد لايشبه بقية الشعراء حين يرمى ألى حكمة . فهو لايضمن البيت حكمته كما يفعل الشعراء العرب ولكنه يضفيها فى جميع أجزاء القصيدة حتى تصير له منها وحدة متناسقة كالشكل الهندسى المنتظم

العقاد الكاتب .

ماحسبنا نطيل حين نلم بالعقاد الكاتب ، وما نحسب أحدا لم يتذوق طلاوة أسلوب العقاد الأديب الذى يعرف سبيله ألى القلوب فيسكن فى قرارتها ويستقر فى سويدائها والعقاد الذى يزن الألفاظ ويتخير العبارات لشعره يسلس القياد لقلمه فيفتن ويبدع

وأن الجولات الموفقة التى جالها فى ميادين الأدب والفلسفة والأجتماع ؛ وهذه التراجم الرائعة التى حلل فيها عظماء المشتغلين بالآداب فى الغرب والشرق ؛ كل ذلك يشهد للعقاد بمكانة سامية فى عالم الكتابة ويضعه فى مصاف أكبر أدبائنا الأنشائيين ــ ... والعقاد يهيم بالأدب الأنجليزى ويقرأ كثيرا من الكتب التى تخرجها المطبعة الأنجليزية ويجيد تلخيصها أجادة تامة ــ ثم هو لايفقد شخصيته حين يلخص هذه الكتب بل تراه ينقدها ويعلق عليها بعنف ويناقش الآراء التى تفيض بها مناقشة حادة تثبت لك مبلغ علمه وحظه العظيم من ثقافته العصامية . وهومع ميله الكبير ألى الأدب الأنجليزى يتعشق الآداب الفرنسية ويعجب بعدوستها ولذا فهو يقرأ هذه الآداب العالية مترجمة ألى اللغة الأنجليزية ... أو العربية .. مما سنلمح آثاره فيما يلى

عقيدة العقاد وآراؤه فى الحياة :

ومن يستطيع أن يحكم على عقيدة رجل وهو لم ينفذ ألى أعماقه ولا اسكنه سرائره التى لايعلمها ألا هو وعلام الغيوب !! وهل لايكون من الفضول أن نبحث فى عقيدة رجل يعرف الناس من هو فى حين لاشأن لنا بهذا المطلب الوعر الشائك سيما فى هذا الزمن

غير أننا لانكون فضوليين حين ندرس مابأيدينا من آثار العقاد ثم نتركه هو يقرر عن نفسه ولنفسه هذه الفلسفة الروحية السامية التى استخلصها من صفوة آراء الفلاسفة المتأخرين أولئك الذين امتزجوا بقلبه ولبه ، ثم سما هو بهم فرجح من نتاج عقولهم مايتسق ونفسه المؤمنة الراضية ، وأسقط ماندوا فيه وما لم يستقر لهم بسبيله قرار

والذى يقرأ العقاد قراءة سطحية من غير درس ولاتمحيص يكاد يتلقفه الشك فى هذه النفس الثائرة مرة . الراضية الطيبة مرارا : المتمردة على الدنيا وما فى الدنيا طورا ؛ الباسمة للدنيا والعاطفة عليها أطوارا

وكيف لايشك من يقرأ العقاد قراءة سطحية فى قوله من قصيدته تنازع الفردوس :

يتحاسدون على الهباء ! فالهم لايحسدون البر فيما يؤجر

نقموا على الكفار أن تركوالهم أجر السماء وانكروا ما أنكروا

لو كان ماوعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرهم من يكفر

وفى قصيدته أنس الوجـود :

تعددت الأرباب والدين واحـد ... فآمن به طرآ ، أو أكفر به طرا ! !

لقد عاث فيها آل عيسى واحمـد ... فهل كرهوا الايمان أو كرهوا الكفرا ؟

والمقدمة الرائعة التى مهد بها لقصيدته.. هيكل أدفو ، والتى ينبغى عليك أيها القارىء أن ترجع اليها لترى هل تفهم منها غير مانفهمه أو يفهم صاحبها العقاد ؟ وفى القصيدة يقول :

لو لم يرعنا للبهيمن هيكل ... باق يجد بقـاؤه الأجيـالا

أخفى سرائره وأطلـع خوفه ... نورآ يزيد التائهين ضلالا ! !

ماشيد البانون ركن عبادة ... كلا ، ولا شـدوا اليه رحالا

والدين باق ماجهلنـا سره ... والنبقـين بسره جهـالا ! !

والذى يعسر عليك فهمه بزعم كون المقدمة منصبة عليه قوله :

لاتعبدن اذا أردت سيادة ... ربا يمين الصـيد والانذالا ؟

وقوله فى قصيدة المعرى وابنه :

زعموها الى الخلود تؤدى ... مارأينا سوى فنا. والخـلد فيه مودى على تجاليد مودى !!

وقوله فى قصيدته العام الجديد

دعونى أسر فى ساحة العيش مفرداً ... مغمى فلا أدرى مصيرى وأولى

أو قوله فى قصيدته الموسيق

بذا فرق الدنيا فألف بينهـا ... أله على أفعاله ليس يندم

وأحسب لو أنا حللنا بجنـة ... خـلودا لشاقتنا هناك جهنم

تهون الرزايا اذ تطول عهودها ... وكل نعيم طال يجفى ويسأم ؟ !

وفى قصيـدته حانوت القيود :

بنى آدم لا تنكروها فأنها ... مياسم من أرواحكم لم تغيب

فما تكرهون القيـد الا لأنكم ... تنوءون منه بالثقيل المشعب

أغر كمو من لا مزيد لوفره ... ولا فضل فى أغـلاله لمعقب ؟ !

وبعد ، أفلا تحس وأنت تقرأ هذا الكلام ان أطياف أبى العلاء والخيام وديكارت وكانت وماكس نوردو وأناتول فرانس ترفرف مع طيف العقاد فى ملكوت هذا الشعر ؟ ! وهل علمت أنه يجب على قارىء العقاد أن يعمل رويته حين يقرأه ، ثم يجب عليه أيضا أن يتسلح

بشيء من المنطق والفلسفة قبل ان يلج ديوانه ، وأنه ان لم يفعل هذا لم يفهم الرجل الذى أصبح حريا بالدرس و « التشريح » !

العقاد فخر لمصر ، لأنه خلق لها فلسفة مصرية ساذجة تستروح اليها النفس برغم مايبدو فيها لأول وهلة من تعقيد ، وستفهمه غاية الفهم اذا درست الأدباء الثلاثة الذين سنعطيك منهم صورة فيما يتصلون بالعقاد من وشائج

أما آراء العقاد فى الحياة فإيجابية جميلة يروقك منها حضه للشبان واستحفازه لهممهم . وهو لا يقتل الشر بالشر ولكنه يقتله بالخير ، وهو لا يداوى الفقر بالصدقات والملاجىء وانما يمحقه بالحض على نشر الصناعات والاتجاه نحو الغرب مع استقبال صوفية الشرق — وكم تأسف حين ترانا ندرس العقاد العظيم فى مقال محدود . ودراسته بمؤلف على حدة أقمن

العقاد وأناتول فرانس :

للأستاذ العقاد شغف لايحد بالكاتب الفرنسى العبقرى أناتول فرانس ، وهو وان لم يتصل به بسبيل لغته إلا أنه يدأب فى البحث عنه مهما كلفه هذا البحث من كد وأضنا ، فهو يتأثر به من أجل هذا فى نظمه ونثره حتى ليحسب الذى يدرس العقاد أنه يدرس فرانس من كل الوجوه . ولعل فى أوجه الشبه الكثيرة بين حياتى هذين العظيمين أسباب مهدت لهذا الشغف وانضجت فى أديبنا هذا الاعجاب ، وأنت تعلم من ترجمة فرانس أنه نشأ نشأة غير ارستقراطية وتلقى التعليم الضرورى فى مدرسة ستانيسلاس واتصلت حياته بالادب فى مكتبة أبيه فى ملاكيه حيث مهد لمستقبل عصامى حافل ، وشرع يراسل بعض الصحف الصغيرة كصياد التراجم وغيرها ، وأولع بنظم الشعر فنشر على الناس ديوانه « المذهبات » ثم نظم قصيدته الخالدة « تاييس » . ثم هو لم يتصل بجامعة ينهل منها مايتخدع بزخرفه بسطاء الناس ، بل خلق لنفسه جامعة توحى اليه مايشاء من حكمة وأدب » ، وحين بلغ من السن الحادية والثلاثين اتصل بجريدة الطان الكبرى وطفق يحرر فى قسمها الادبى حيث تناول بالنقد والتحليل شعراء فرنسا وأدباءها المعاصرين وغير المعاصرين ، وانتقل من الادب الى التاريخ فكتب عن جان دارك ، وعمل بمكتبة مجلس السنات (الشيوخ) وانتخب عضوا بالمجمع (الاكادمى) ومنه انزلق فى حمأة السياسة فى قضية « دريفوس » ومال الى الآراء المتطرفة واعتنق الاشتراكية . وكان فرانس من الوالعين بالاسلوب الفرنسى الرصين فغالى فى المحافظة عليه وتقييد آرائه به وكان فى الوقت نفسه مجدداً من زعماء التجديد

فهل لا ترى من هذه الصورة المسرعة الخفية صورة للاستاذ العقـــاد تدانيها وتكاد تنطبق عليها ؟ ويزداد يقينك بهذا اذا قرأت محادثات نيقولا سيجور مع فرانس ، ثم حديقة

ابيقور Epicure وشطراً آخر من آثار أناتول لتقارنها بما يصادفك من آراء فى ديوان العقاد وسائر كتبـــه

لقد كان أناتول يوصى عواده وحاضرى ساعته الاخيرة الا يستدعوا رجال الـكنيسة وأحبارها لاغماض عينيه ، بل ابتهل اليهم ان يفعل له ذلك الظبيات الفاتنات وجميلات السين الساحرات ، ولست أدرى هل اقتبس العقاد عنه هذه الامنية حين قال فى قصيدته كأس الموت . —

وغنوا فان الموت كأس شهية   ومازال يحلو أن يغنى ويشربا
ولا تذكرونى بالبكاء ، وانما   أعيدوا على سمعى القصيد لأطربا !!

أم هو قد حاكى بذلك من قال ، أذا مت فادفنى الى أصل كرمة !! ،

ونحن نعق العقاد بعد هذا من شكوك أناتول فرانس حتى يكتب هو لنا فصلا ممتعاً بهذا الصدد فى القريب العاجل ان شاء الله ونختم هذه المجالة بما قال أناتول فى ثورة الملائكة

، نحن اذا أتيح لنا أن نهدم الجهل والجبن ، فاننا بذلك نكون قد هدمنا الطغيان والاستبداد ! ،

وديوان العقاد يطفح بهذه العزة فاشهد ذلك ثمة

العقاد وماكس نوردو والفيلسوف كانت :

وماكس نوردو وعمانويل كانت ضدان لا نسب بينهما ، فالأول ملحد موغـــل فى الالحاد برغم دعايته المريضة للصهيونية وذبه بكل ما أوتى من قوة عن اليهودية واليهود ودأبه المتواصل الذى لا ينى فى سبيل دفع الاهانات التى يصبها الناس عليهم فى مشارق الارض ومغاربها — نوردو الذى يقرر ان غاية الاخلاق والآداب هى وقاية النوع ليس غير ، وأن الحياة غاية لنفسها لا وسيلة لهذه الحياة الآخرة التى يقول بها المؤمنون — نوردو صاحب كتاب الاكاذيب المقررة وكتاب الاضمحلال وكتاب الاخلاق وتطور الانسانية وغيرها من الكتب التى خلدت اسمه وان يكن خلوداً لا نرضاه نحن المؤمنين

أما الثانى ، أما عمانويل كانت ، فهو الفيلسوف الذى سهل على المؤمنين مهمتهم حين أبرز لهم قانونية الخالدين وأولهما معرفة حقائق الاشياء فى ظواهرها (Phenomena) وثانيهما معرفة حقائق هذه الاشياء فى ذاتها (Noumena) وفيها يفسح المجال للوجدان ويرفع العبء عن العقل فلا يرهقه بالسمعيات وما اليها مما يكون سبيلها الى التصديق أقرب بالطريق الاول (الوجدان) منها بالطريق الثانى

كانت الذى حل قضايا أصل الوجود والاعتقاد بالله والاخلاق فيجعل الاولى مما تقع فى دائرة الادارة لا دائرة العقل ، كذلك يجعل الثانية ولكنه يعطيك من المنطق أسلحة

حادة مجدية الى حد ما — وقد زعم بعضهم أنه نصر الملحدين حين فند أدلة اللاهوتيين في هذا الموضوع ولكننا لا نرى الا أنه فندها ليقيم مكانها ايماناً حيا لايمكن ان يتزعزع

فقيم اذن وضعنا نوردو وكانت الى جانب واحد في حياة العقاد مع ماهما فيه من اختلاف ؟ ذلك ان العقاد أدمن قراءة الاول فأفاد منه قوة عارضة وذلاقة لسان تلمسهما حين تقرأ كتبه جميعاً أو حين تسمع اليه يتحدث — والعقاد وأن كان لايرى مايراه نوردو من رأى سيما ما يصطدم منه بالدين الا أنه قد تأثر الى حد بعيد بما قرره في قضايا الاخلاق وما رسمه للآداب

أما كانت فقد أجاد العقاد دراسته وأتقن فهمه حتى أنه استعان به كثيرا حين ثارت بينه وبين الاستاذ الزهاوى تلك العاصفة الجدلية التي نذكرها جميعا والتي سكنت دون أي رأى كأنما رضى الاثنان بحكم ماكس نوردو بينهما حين يقول « ان الحياة لغز لا يجد الوصف عنه الباهظ على أفهامنا

« ونحن نسأل هل لها من غرض ؟ وماهو ؟ لا ندرى ! ! »

وتظهر لك آثار هذين على العقاد حين تقرأه في ديوانه خاصة

٠٠٠

ويجمل القول في العقاد الفيلسوف أنه حرى بالدرس المستفيض لأنه يقرر للاخلاق المصرية أصولا منتقاة من صفوة ماقرره العلماء جميعا

أما المستقبل ! ! فلله كم تشوف للعقاد في أفقه نجما زاهياً يهبنا المجد والحياة ! سنطمع منه حين ينطلق كأسد من سجنه في الآثار الخالدة التي لاتقل عن « الآلهة عطشى » و « الزنبقة الحمراء » لصديقه فرانس — والاضمحلال لصاحبه نوردو — بل نحن نطمع منه في كتب فلسفية يساهم بها في ثقافة العالم وتضعه الى جانب كانت نفسه ، فيهدم لنا هذا القديم الرث بمعاول النقد العلمى التي صنعها كانت ، ويقيم لنا صرحا عالياً من العلم والعرفان

تلك لمحات عن أديبنا الذى لم نعرف الى اليوم كيف نقدره درينى خشبه

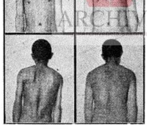
اطالة العمر وهـــل نرغب فيهـــا ؟

منذ أكثر من خمس وعشرين سنة كان يعيش فى باريس رجل روسى ، ترك كل شىء لكى يلحق بباستور .

هذا الرجل هو العالم متشنيكوف . نشأ فى روسيا ثم قرأ عن مكتشفات باستور وكيف أن الامراض المعدية تنشأ من مكروبات حية تعيش وتنمو كالخائر . فرحل الى باريس وهناك تتلمذ لباستور وسار على طريقته فى التجارب العلمية . وكان من أهم ما اشتغل به متشنيكوف موضوع الشيخوخة وكيف نطيل العمر ولم يكن أحد فى ذلك الوقت يعرف ما للغدد الصماء من الاثر فى هذا الموضوع ولذلك فان متشنيكوف تناوله من ناحية أخرى هدته اليها المصادفة

فقد وجد عجوزاً قد اربت على المائة تعيش فى باريس صاحية العقل سليمة الجسم . وأراد متشنيكوف أن يعلل هذه الشيخوخة السليمة بالفحص عنها . وقام بذلك بكل ما عنده من أدوات الفحص الدقيقة فلم يجد تعليلا معقولا . وأخيراً سأل اختها







عملية شتيناخ

رجل صينى كان مسجوناً سنة ١٩٢٠ عملت له عملية شتيناخ أى ربط القناة المنوية فى الخصية ولم يخبر بالغرض من العملية حتى لا يكون للايحاء تأثير حسن فى نفسه . وهو يرى باليسار قبل العملية وباليمين بعدها بخمسة أشهر . ولم يتغير طعامه أو معيشته . والتحسن واضح

الصغيرة هل بها شيء شاذ ؟ . فاجابت الاخت بأن ليس عندها أى شذوذ غير انها مصابة باسهال من زمن بعيد

وهنا انقدح لمتشنيكوف خاطر وهو أنه ربما يكون التخلص من نفاية الطعام أول بأول بضع مرات فى اليوم سببا لاطالة العمر . وذلك لأن هذه النفاية تختزن مدة طويلة فى المعى الكبير وهى تحتوى على ملايين من مكروبات الفساد التى تقذف سمومها فى الجسم . فهذا المعى هو أشبه الاشياء بخراج كبير فى أجسامنا يتسرب منه الصديد الى الدم ويعمل فى اضعافنا وابلاء أعضائنا

وأخذ متشنيكوف من ذلك الوقت يدرس الشيخوخة ويقف تعالج وارتأى أن أحسن ما نعالجها به أن نزرع فى المعى الكبير خميرة تقاوم مكروبات الفساد التى فيه وأحسن الخمائر هى اللبن الرائب . ومما زاده ايمانا بفائدة هذا اللبن أن جميع سكان مقدونيا يتناولونه وهم جميعهم معمرون يتجاوز عدد كبير منهم المائة من السنين

وشاع من ذلك الوقت استعمال اللبن الرائب . وقد قلت الحماسة التى قوبل بها ولكنه مازال يحتفظ ببعض شهرته التى اكسبه اياها متشنيكوف

أطوار الشيخوخة

ترى هنا أربعة أطوار لنمو الانسان فى شخص واحد هو الكردينال نيومان . ففى أعلى باليسار نرى وعمره ٤٢ . وفى أسفل باليسار ٦٠ وفى أعلى باليمين ٧٥ وفى أسفل باليمين ٨٠

وفى هذه السنين الاخيرة نسى الناس اللبن الرائب لأن شتيناخ وفورونوف قاما بدعة جديدة فى ارجاء زمن الشيخوخة أى فى اطالة العمر وذلك بالاعتماد على الافراز الداخلى

للخصيتين . فان الجراح يربط القناة التي تحمل السائل المنوى فيضمر الجزء الذي يجهز هذا السائل . وعندئذ يتجه نشاط الخصية الى افراز السائل الداخلي الذي يسير في الدم ويبعث النشاط في الجسم ويجدد للشيخ شبابه . وأحيانا يعمد فورونوف الى خصية قرد شاب فيطعم بها انسانا شيخا . وهو يدعى النجاح في هذه العملية . ولكن هناك كثيرين لا يصدقون هذه الدعوى .

وإذا نحن تأملنا البواعث التي تبعثنا على التفكير في اطالة العمر ألفيناها تنحصر في تأجيل الموت للخوف منه . وهذا الخوف يشعر به الشاب أو الكهل ولكن الشيخ قلما يشعر به . وذلك لأن الشيخوخة يرافقها همود يزداد ويتراكم بتوالي السنين . وهذا الهمود يستولى على الذهن والمزاج والنفس كما يستولى على الجسم . فالشيخ لا يضعف عن السعى والحركة والاقدام والتطلع بل هو يضعف عن التفكير في هذه الاشياء نفسها لأن الحقيقة أن شيخوخته قد أصابت نفسه بالهرم كما أصابت جسمه . فاذا أحس بالموت يقترب منه فهو لا يخشاه كما يخشاه الشاب ولا يفكر لذلك في فوائد اللبن الرائب أو عملية فورونوف

والى الآن لا نعرف كيف تحدد الاعمار . أى كيف يعيش الفيل مثلا ١٣٠ ولا يعيش الفار سوى ١٣٠ شهراً أو أقل . والذي يلاحظ أن الاجسام الكبيرة تعيش كثيراً . على أن هذه القاعدة ليست عامة فان الزواحف تعمر كثيراً وهي ليست كبيرة الاجسام

ولكن هناك شيئاً يستحق الملاحظة على الفار والفيل . فن الواضح اننا نعيش ما دام قلبنا يدق . ودقات قلب الفار على قصر عمره تساوى أو تكاد دقات قلب الفيل . فلكل دقة من دقات القلب عند الفيل نجد عشر دقات عند الفار . فهل هناك مقدار محدود من النشاط تدل عليه دقات القلب ؟ وهذا النشاط لا يتغير مقداره بين جميع أنواع الحيوان وانما تختلف جميعها من حيث السرعة . فالفار مثلا يعيش باسرع مما يعيش الفيل وهو لذلك لا يعمر مثله؟

ولكن حتى هنا نجد صعوبة تعترضنا في الايمان بهذا الفرض . وهو أن كاريل أحد العلماء الذين يجربون التجارب العلمية استطاع أن ينزع قلب دجاجة ويضعه في اناء خاص ثم صار يغذوه فعاش القلب يدق ولا يبالى بالموت . وهو ما يزال حيا الى الآن يرفض الخضوع للاعمار التي حددتها الطبيعة للدجاج . ولو كان هذا القلب في مكانه الاصلى من جسم الدجاجة لبطل عمله ووقف عن الدق منذ سنوات

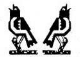
وقد يكون لنا في هذه التجربة التي قام بها كاريل بعض الامل في اطالة العمر . إذ ربما يكون وقوف القلب في الدجاجة ناشئا من سموم تتراكم في الجسم — كما هي نظرية

متشنيكوف — من المعى الكبير أو من أى شىء آخر . فاذا استطعنا أن نتخلص منها عاش القلب وزادت اعمارنا . فان كاريل يغير السائل الذى يعيش فيه القلب ويرى هذا التغيير ضرورياً وألا مات القلب . فاذا استطعنا نحن أيضاً أن نغسل أعضاءنا الداخلية ونطهرها من السموم المتراكمة جاز لنا ان نؤمل سلامة هذه الاعضاء مدة طويلة من السنين

وبديهى أن كل هذه المحاولات لا يراد منها اطالة الشيخوخة بل أطالة الشباب وإحالة الشيخوخة الى الشباب . وهذه الغاية تتحقق الآن الى حد ما بعملية شتيناخ فى الخصية . على انه مما يلاحظ هنا إن الفائدة من هذه العملية تكون كبيرة أول مرة . ثم تقل فى المرة الثانية . فاذا كانت المرة الثالثة فهى لا تكاد تفيد . ثم يكون الموت فجائيا أذ يتهافت الجسم فجأة فى اغماء ينتهى بالموت

وقد يتساءل القارىء هنا : هل من مصلحة الامم أن يعيش الشيوخ كثيراً ؟

فالجواب على ذلك ان هذا ليس من مصلحة الامة لأن الشيخوخة على الرغم مما اكتسبته من التجارب جامدة تلتفت الى الماضى اكثر مما تتطلع الى المستقبل فهى اذن عبء على التطور بدلا من أن تكون معواناً له . ولكن العلماء لا يرغبون فى اطالة الشيخوخة وانما يريدون أن تستحيل الى شباب فتجمع بين الى تجاربها الماضية عزم الشباب وجراءته



تجديد الأخلاق المصرية

يتميز هذا العهد الأخير فى مصر بذلك النشاط وتلك اليقظة التى تكاد تتمشى فى كل أعضائها وتنتظم جميع شعبها . ولولا أن مصر تقسم الى طائفتين بعدت مسافة الخلف بينهما جهلا وعلما لسهل على المصلح أن ينفث فى النفسية المصرية ما شاء من خلق ويبث بها ما أراد من فضائل ولكان لتلك الهزة وهذا الانتفاض الذى انتفضته مصر نتيجة عريضة وأثر أعمق . فلا تزال الطائفة المتعلمة بمصر ضئيلة النسبة وأكثر هذه الطائفة نفسها ضئيل المعارف مختلط المعلومات . ولذلك كان جيش الأمة يكاد يكون مقعداً كفيفا لا يجديه كثيراً نشاط كشافته ومهارة قادته . ولهذا أيضاً نرى التجديد الاجتماعى والخلقى بطيئاً يسير على ظهر السلحفاة

بالرغم من ذلك كله فاننا نحمد لهذا العصر ذلك الاحساس بالنقص الذى تفيض به مشاعرنا والذى أصبحنا نرى فى ضوئه عيوبنا الاجتماعية والخلقية . فلقد قضينا أجيالا عديدة كنا فيها نجتزئ بالجلوس على شاطئ الحادثات نتأملها ونتأثر بها بكاء أو فرحا دون أن نجد فى سواعدنا ورؤوسنا ما نستطيع به أن نغير تيارها أو نهذب اتجاهها وذلك ضعف معنوى وعجز روحى له عوامله الخفية فى أعماق نفوسنا مما نرجو أن يتم تبخره أمام حرارة النفس المصرية الحديثة

الحق أن القرون الماضية وما منينا فيها من مصائب وكوارث كادت تميت فينا معنى المصرية ، كما أورثتنا عدة أخلاق ذليلة . فذلك العزم المتقاعس الذى نشكوه فى أنفسنا وتلك النظرة الحسرى والصبابة الفاترة كل ذلك تراث ما لقيناه من ذل واستعباد . وانه ليسهل علينا أن نلحظ أننا معشر المصريين مهرة كل المهارة فى اجترار الماضى والتمسح به عجزة كل العجز عن تذوق المستقبل ورسمه وما ذلك الا نتيجة لافلاسنا فى الحاضر وتلمس العزاء عن ذلك بتقمص مجد الآباء والأجداد والتستر وراء آثارهم ومآثرهم

لقد كنا الى عهد قريب يحلو لنا السير الى الوراء فنجيده ونهرول فيه نطيل النظر إلى الماضى ونتقنه ولا نكاد نرمق المستقبل أو نرسم كروكيه ، نكاد نرد عيوننا إلى أقفيتنا ونلوى رؤوسنا على أجسامنا وكنا أيضاً نتهم المصرية ، ونسىء الظن بها والعقيدة فيها الى حد التنصل والتبرؤ منها فيتمنى المصرى أن لو كان غير مصرى

كل تلك أمراض خلقية نستطيع أن نضم اليها أمراض النظر القصير وتعجل الفائدة وعدم الايمان بالمصلحة العامة وايثارها وعدم طاقتنا المجهودات الطويلة التى يشغل منهجها الجيل والجيلين . قد لايدرى بعضنا فيتساءل من أى ثغرة تسقطت علينا تلك الاخلاق ؟ ومن أى ناحية تسربت إلى نفوسنا تلك الامراض ؟ أهو ماألقيناه من استعباد طوال القرون الماضية نمست فيه حويتنا وذبلت مناعتنا حتى أصبحنا فاترى الامل والمجهود؟؟؟ أو هو سوء الكتلة العلمية التى تغذينا بها فى تلك العصور وهذه الثقافة المسممة والصوفية المتعطلة الزاهدة التى لا تعرف غير بغض الحياة والترغيب عن الدنيا ومحاولة تجاهلها نزوعاً الى الآخرة

الحق أن . ميكروب . الصوفية البلها. لايقل عن جرثومة الاستعمار هداً فى كياننا وضعضعة فى عظامنا وأرواحنا وانهما بمجتمعين قد أضعفا فينا الميل الى الحركة والبطش وأماتا فينا حب السيطرة ولذة الغلب والخلق وقوة الهدم والبناء . فتراثنا سريعى الملل لانطيل الوقوف على أرجلنا ولا نطق العناء فى الجهاد كما تراثنا أيضاً نتهيب التجديد والتغيير وتتهمه ونخشاه ونرتقى الكساح خوفاً من عثار المشى . واذا أرغمتنا الحوادث ودعتنا سنة التطور الى التجديد مددنا أيدينا مرتجفة وربطنا أرجلنا بشجرة الماضى ولا نكاد نخطو خطوة حتى ننظر مائة مرة الى الوراء حيناً الى القديم وخوفاً من خطأ الجديد! ونهوض الامم لايكون عن هذه السرعة ولا مع ذلك التهيب بل أن التقدم والرقى فى حاجة الى وثب وقفز وجرى . وطيران .

فأضعف أخلاقنا هو مايتصل بالشجاعة العامة وقوة المحو والخلق فليس فينا منها إلا شجاعة ترقيع الثوب البالى وتخطيط التربة المريضة أما قوة طرح الثوب الخلق واستبدال جديد قشيب به ، وأما قوة حرث الارض وقلب عاليها سافلها لتجديدها فلا توجد فينا بعد وما نزال جبناء الروح والنفس معاً

ذلك استعراض سريع لعدة أمراض خلقية أراها تقعد بنا كثيراً اذا ما جد جدنا وتفل من عزيمتنا اذاما أهابت بنا الدواعى ما يجعلنا نوقن أن أخلاقنا حرب علينا قبل كل شىء ويجعلنا نهتم ان الاخلاق هى الميدان السرى الذى تتصارع فيه الامم ويهضم بعضها بعضاً

وقد آن لنا ـــ وقد فطنا لذلك ـــ أن نغسل نفوسنا وان نجمع تلك الاخلاق القديمة ونضم اليها أخلاقاً أخرى من مثل التواضع والقناعة والتسامح و . كرماء لضيوفنا . فنلفها فى لفافة بيضاء ونودعها زاوية الصحراء . وان نستبدل بها أخلاقاً جديدة من مثل الطمع فى الأمل

والعناد في سبيل الغاية والعظمة في النفس والزهو القوى والتعصب الشعبي فذلك دواء ضعفنا والزم لنا — كأمة — في بدايتنا

فعلينا ان نستشعر العظمة وان نبعث القوة المعنوية في نفوسنا ونفجرها في قلوبنا وأن نضخم أرواحنا وان نعجب بقومنا ووطننا — ولو بالباطل — حتى ينقلب حقاً

نريد أن نغزو أنفسنا حين نغزو غيرنا نريد ثورة على أخلاقنا حين نثور على سوء حظنا نريد ان نحارب قلوبنا وضمائرنا فنطهرها ونزيل منها سوء الظن « بالمصرية » واتهامها ونضع مكانه الغرور بكل ماهو مصرى والتعصب لكل ماهو مصرى

نريد أخلاقا جديدة قد لاتليق بالفرد ولكنها تليق بالجماعة وضرورية للامة من أمثال التعصب والعناد والأثرة والطمع والصلف بل حتى الثبات على الخطأ !

واذا كنا نحمد « للمصرية » نشاط ناحيتها السياسية وخصوبتها حيث نرى ميدانها يكاد يمج بفرسانها ، واذا كنا نستطيع أن نتفاءل لناحيتها العلمية حيث نستطيع أن نلمح في أفقها بدوراً واقماراً نكاد نحس ضوءها ونلمس أشعتها

فاننا ننعى الناحية الخلقية ونبكى جدبها وركودها على حين أن النهضة والانتباهة التى تسرى بمصر الآن خير تيار يمكن ان تستغلنه على شاطئه بذور أخلاق جديدة .

لقد كانت مصر البنت البكر للعالم التى تمخض عنها أول ماتمخض . فقضت أجيال طفولتها وقرون شبابها على خير ماتكون الطفولة والشباب . أما الآن فقد هرمت وشاخت في أخلاقها أكثر مما شاخت جسومها . فاذا كان من الممكن تجديد جسمها فما أحوجنا إلى غدد أخلاقية تجدد روحها وتوقظ حيويتها حتى تستطيع أن تستعيد دورها في درامة العالم النشيطة

فهل بمصر من المصلحين الاجتماعيين والأدباء الخلقيين من يحمل راية التجديد الخلقى ويستغل عصر التطور الذى نحن فيه فيقفز بنا الى خلق جديد وطبع جديد بل إلى لباس جديد وطعام جديد ! ؟

حسين محمد حسين

الادب القصصي في مصر

ماهي اسباب ركوده ؟!

قام بهذا البحث صديقنا الصحفي لطفي عثمان

١ ــ ماهي أسباب تأخر نهضة القصة المصرية المحلية ؟

٢ ــ ماهو السبب في عدم ظهور القصة الطويلة ، واقتصار النهضة على المسرح والقصة القصيرة ؟

٣ ــ الى أي المذاهب القصصية تفضل ان تنتمي اليه القصة المصرية المنشودة ؟

ooo

.... ربما كانت القصة المصرية هي ربحنا الوحيد من الدعوة الحارة الى التجديد .. بل ربما كان التأليف القصصي أسبق من هذه الدعوة نفسها !! وأريد بالقصة معنى عاما يشمل القصة الصغيرة والرواية ــ أو القصة المطولة ــ والقصة المسرحية

وقد عن لي أن أستطلع رأي فريق من كتاب القصة عندنا في مظاهر لاحظتها وأغراض تتعلق بمستقبل هذا النوع الفني الذي تبشر بوادره بثروة أدبية ستضاف بلا ريب الى الذخر الادبي العالمي فوجهت اليهم الاسئلة الثلاثة التي فوق هذا الكلام ؟

لطفي عثمان



الاستاذ لطفي عثمان الذي قام بهذا الاستفتاء

الاستاذ ابراهيم رمزي

(١) .. بلا شك ان القصة المصرية المحلية لاتروج إلا إذا كان لها قراء وهؤلاء القراء ليس من السهل خلقهم لأن الامر يتوقف على النشر أكثر من توقفه على التأليف ،

فاما النشر فيكاد يكون معدوماً من وجهة المؤلف المصرى لأنه لايوجد مؤلف مصرى يملك من المال مايستطيع ان ينفق منه فى طبع رواياته . واذا وجد من يملك فليس لديه من الوقت والحيلة مايساعده على توزيع رواياته ، ونشرها للقراء . وكثيرا ما عمد الكتاب الى طبع رواياتهم فاضطرتهم تلك الظروف الى ان يبيعوا مايطبعون بما هو دون قيمة الطبع الاصلى وفى هذا تثبيط أى تثبيط . وانت تعلم ان جميع المطبوعات انما يتولاها فى اوربا قوم مهنتهم ومرتزقهم النشر . وهؤلاء بنشرهم عدة مؤلفات فى وقت معاً واستمرارهم فى العمل يضمنون توالى ورود الأرباح . ومالم تجر الامور فى مصر على هذا النحو فلا بد أن تتأخر نهضة القصة المصرية المحلية . وأقصد بالقصة المصرية فيما ذكرته المقروءة لا الممثلة

أما اذا شئت رأيى فى القصة الممثلة فالنهضة فيها آخذة فى الظهور بشكل جدى ولو استمرت الجهود التى بذلها الاستاذان جورج أبيض وعبد الرحمن رشدى على صورة خالصة من المثبطات لكان اليوم شأن كبير!

واعتقد أنه يجب على الحكومة ولا سيما وزارة المعارف ان تهتم باخراج قانون صيانة حقوق التأليف حتى يكون من وراء اندماجها فى معاهدة بيرن مايجعل الرواية الاجنبية غالية القيمة على صاحب الفرقة أما الآن فان أعظم رواية أوربية يمكن نقلها بقيمة زهيدة لايدفع منها شىء لمؤلفها الأوربى وعند ذلك يفضلها صاحب المسرح على القصة المصرية التى لابد ان ترتفع ثمنها تبعاً لمكانتها

الاستاذ ابراهيم رمزى

على أنى أجد الظرف مناسباً للشروع فيما كنت قد اعتزمته من اخراج سلسلة روايات قصصية تاريخية على طريقة الكاتب اسكندر ديماس يكون اساسها التاريخ العربى ولاسيما تاريخ مصر منذ الفتح العمرى ، وتوشك روايتى الاولى ، عمرو بن العاص ، ان تظهر

أما عن سؤالك الاخير فان المذاهب القصصية كثيرة ويرجع ذيوع أحدها فى وقت ما الى نوع الجو الذى تظهر فيه والى نوع الثقافة التى يكون عليها الجمهور . والمؤلف البصير هو الذى يستطيع أن يكون « كالبارومتر فيكتب روايته تبعاً لما يراه لها ، وليس أدل على ذلك من انتشار

الرواية التاريخية ، الكلاسيكية الاسلوب ، في أول عهد النهضة الحديثة ثم ذبولها وذيوع « الفرانكوآراب » ثم ذيوع الدرامة العصرية ، وأخيراً الى الروايات ذات الموضوع الحساس على أني أرى أن المصريين اليوم والى زمن ليس قصيراً سيجعلون رواياتهم في القالب الواقعي « Realist » ، ولكن أوصي ناشئة الكتاب ان لا يخدعهم هذا القالب ويظنوا أنه سهل الارتياد لأنه اذا خلت الرواية من عنصر « الرومانتيزم » كان من أشق الامور على المؤلف ان يحتفظ بعناية الجمهور وامتلاك الجو عليه

الاستاذ احمد خيرى سعيد

١ — يجب علينا لكي نحكم على تأخر القصة أن نتخذ معايير نقيس اليها ما أبدعته القرائح المصرية ... فانه اذا اختلفت الأقيسة جاءت الأحكام متباينة ... مثال ذلك قصص ألف ليلة وليلة ، تلك الآيات الفنية التي لم يفطن الى براعتها وعبقرية ابتكارها سوى الغربيين ، أما الشرقيون فاصطنعوها وسيلة لهو يقتلون بها وقتهم الضائع عبثاً ... كل ذلك لاختلاف المقياس الفني ، بل قل لأن عند الغربيين معايير فنية على حين غاب عن الناقد الفني في الشرق أن الأعمال الفنية اذا ترك الحكم عليها للذوق وحده فقدت قيمتها

وأعرف من تاريخ القصة المصرية أن الأدباء اتخذوا مثلاً علياً في الفن القصصي ، درسوها وفهموها وتأثروا بها وكانت هذه المثل الفنية الرفيعة كالشمس أنضجتهم ... ولذلك لم يحتذوها ولم يقلدوها ونهجوا في التأليف طريقاً عليه طابع المصرية وفيه من خلابات الشرق وسحره وتزاويقه مايميز قصصهم عن القصص الأخرى

تشيكوف وموباسان ودستوفسكي وبلزاك وترجنيف وجوركي — وقصصيون سواهم معظمهم من غير الانجليز الا « ديكنز » والشاعر الروائي الأمريكي « أدجار آلان بو » ... هؤلاء كل هؤلاء هم المثل العليا في فنهم عند القصاص المصريين ... ولسنا نقيم وزناً لمؤلفين كثيرين بعضهم مات وبعضهم يؤلف القصص كما تحرر الصحف بسرعة وعدم اكتراث

فلا نكران في أننا تخلفنا عن مثلنا العليا ، لكن هذا التخلف اذا اعتبر تأخراً فانه يضع القليل من قصصنا في مستوى أفضل مايؤلف في الوقت الحاضر في أوربا وأمريكا

وسبب هذا التأخر كما رأيت يرجع الى سمو مثلنا العليا والى كوننا بدأنا نؤلف من عهد قريب ... فأذكر أننا أعضاء المدرسة الحديثة اجتمعنا وقررنا على اصدار مجلة للأدب الحديث ، هي جريدة « الفجر » ... ولهذه الجريدة — على الرغم من أنها لم تنتشر في غير الوسط المثقف جداً — تاريخ ساطع في حركة التجديد ... فقد نشرت فيها لأول مرة

قصص مصرية لسائر كتاب القصة ونشرت فيها أشكال أدبية لم تكن معروفة فى أدبنا العربى منها الصورة الوصفية والرواية القصيرة والمقالة الأدبية . ثم أن النقد الفنى لم يكتب فى سواها الا فيما ندر . . . .

وعندى أن لكساد صناعة الأدب أوثق علاقة بتأخر القصة المصرية وعدم ظهور الرواية . . . فليس فى مصر « ناشرون » يشترون القصص والروايات والأعمال الفنية . . . وأظن أنه لو وجد هذا الناشر على نحو ماهو قائم فى البلاد الغربية وثبت القصة والرواية الى السماء فجأة أو بعد مدة قصيرة . . . . وأنا من غـــير المؤمنين بنظرية الفن للفن ذاته ، وبالأخص فى عصرنا هذا . . . . هى نظرية أسىء فهمها وأسىء تطبيقها . . .

واسمح لى أن أغفل الكلام بتاتاً عن « محلية » القصة ، فانه لاريب هناك فى أن أى « عمل » محلى يموت وينقرض بمجرد ظهوره أو بعد ولادته . . . ولم نفكر قط فى أن تكون قصصنا محلية . كنا انسانيين نؤلف للعالم كله ونعالج عواطف واحساسات وأفكار وحوادث لايحدها مكان أو زمان ولا تعرف جنساً ولا مذهباً . . .

٣ — عدم ظهور القصة الطويلة يرجع فى اعتقادى الى العجز عن نشر التواليف مقابل جزاء مادى معقول . . . وكنت صرحت فى استفتائك البديع الذى نشر بالمجلة الجديدة — فى الشهر الماضى — بأن الأدب عدير أن يرتزق منه الكاتب فى وقتنا هـذا . . . على أن هناك روايات — أو قصص طويلة — ألفت وماتزال تنتظر النشر . . . وأنا شخصياً ألفت قصة عن « على بك الكبير » لم أجـــد من يطبعها وكنت عزمت على نشرها تباعا فى جريدة الضياء . . . .

ولا أعتقد أن عدم ظهور الرواية يعزى الى الحجاب . . . فالفنان يخترق الحجب . . . .

٣ — أنا ضعيف الثقة بالمذاهب الفنية . . . وأكره أن يتعمد القصصى اتباع مذهب خاص . . . وكل المؤلفين الذين أخذوا أنفسهم بمذهب معين تخلفوا عن الخلود مثل أميل زولا

والواقع أن هذه المذاهب — من ريالزم وزومانتزم وناتشورالزم وأيدياليزم ليست قائمة بذاتها ولكنها انعكاس لطبيعة الكاتب والفنان

نحن سنكون قصصنا ورواياتنا على صورة لم تعرف بعد ، ولم نعرفها بعد فأن سألتنى ماهو هذا المذهب القصصى المنتظر . أجبتك بأن الأعمال الفنية القادمة ستطلع على الأدب العالمى بأسلوب فى القصة جديد لايبعد أن يجىء متأثرا بالتصوف منصبغا بالتجرد يسطع منه الايمان

أخيراً اشكرك أيها الصديق العزيز على عنايتك بحركة التجديد ، فأن اسئلتك كانت تحول في كل خاطر ويرجو الجميع أن يسمعوا أجوبة عنها ممن انصرفوا ألى موضوعها وعانوا في سبيله مصاعب وآلاماً وبخساً في التقدير وخمولا في الذكر

الدكتور حسين فوزى

.. قبل أن أتحدث عن تأخر نهضة القصة ينبغى أن اسجل تقدما حاصلا فى الأدب العصرى وهو وجود القصة بالذات . ولا يرجع عهد القصة المصرية الى زمن طويل . نعم أن اغلب المنتجات الأدبية أو جلها هو من نوع الاقصوصة ولـلذى ربما اعتقدت انها الخطوة الأولى نحو اتقان القصص والمران على طرق الموضوعات الطويلة ولا يخفى انك فى القصة القصيرة كثيراً ما تختار موقفاً من المواقف وتفاجىء شخصاً أو اشخاصاً يعيشون ويتطورون فى درجة من درجات تطورهم . أما القصة الطويلة فهى حراك دائم وظروف تتقلب واشخاص تقاوم أو تستسلم لتلك الظروف ولعلها مثبتة بتقلب ما حولها على أن الفرد بطبعه وبيئته وتربيته لا تغير منه الظروف كثيراً وانما هو حيالها متبع نفس الطريقة فى التصرف التى أعدها بمجموع



الدكتور حسين فوزى

صفاته . أو انها مثبتة تطور الفرد فى تلك الظروف والى أى حد تؤثر عليه المواقف التى توجده فيها الظروف . أى أن فى القصة الطويلة مؤثرات ورد مؤثرات بين الفرد وظروفه والفرد ومن يتصل بهم من أفراد ، هى صورة متحركة من الحياة متواصلة البناء . ولا أعنى أن الاقصوصة لاحراك بها . هى أيضاً حركة ولكنك اقتطعت من الحياة فى دوراتها المستمر عهداً « Phase » ، ونوهت عما سبقه وما يتبعه وحولت اهتمامك واهتمام قارئك الى ذلك العهد

أن تصور بضع سيدات حولنا أو اتصالنا بهن فى ظروف من حياتنا . يجعل القصص قاصراً على هذا النوع من الدراسة وهى أكثر ماتكون ذاتية « Subjective » ، وعائدة بنا الى نوع المذكرات والذكريات . أما أن يدرس الكاتب نساءاً التقى بهن فى أحوال غير

ما ذكرنا — أى دون أن تكون أولئك النساء أمهات أو عمات أو زوجات أو عشيقات — ويتبع فى دراستهن الموضوعية « Objectivity » اللازمة فانى أتساءل كيف تسمح لنا حياتنا الاجتماعية المضحكة المحزنة — ذلك الصندوق المنقسم الى خدور ومقاهى — بأن نصور فى القصة الطويلة ذلك العنصر الهام فى كل مجتمع — وهو نصف حياتنا — وأقصد المرأة المصرية

أما عن سؤالك الأخير فقد يهمنى أكثر من المذاهب القصصية أن ارى الكتاب عاملين على تصوير حياتنا حسب طبيعتهم وميولهم وللناقد الأدبى والاستاذ فى الجامعة أن يستخلص المذاهب التى يتبعها أولئك الكتاب إذ من العبث أن تملى على الكاتب مذهبا من المذاهب كما حدث منذ سنين إذ أشار كاتب يضع أنفه فى كل مكان حتى حسب نفسه ميزانا لفن التصوير وأشار على مصور يجيد التصوير الـ Portrait ، أن يضرب فى فن التصوير التاريخى ويتلقى الوحى عن تاريخ مصر القديمة . لنترك المذاهب ولنحث الكتاب على فتح عيونهم الى الحياة حولنا . ليجعلوا نصب أعينهم واحداً من أمثلة عليا ، وهو أن يتركوا أثراً يدل على عصرنا مستنداً أدبياً يدرسه أحفادنا . لا يقدرون فى أعمالنا الأثر الأدبى العظيم وحده بل المستند الدال على نوع حياتنا وتطورنا واللغة التى نتكلمها ، وهنا انتقد بشدة سخف كل الكتاب بدون استثناء الذين يجعلون أم محمد وعويس وأبو درويش يتكلمون بالعربية مهما حاولوا فى جعل تلك العربية من الركاكة بحيث تقرب من العامية . أى اعتداء صارخ على صدق التصوير أن تضع فى فم امرأة جالسة على شلتة وقد عصبت رأسها بمنديل مزركش أمثال ، ولكنك يا صديق قادم على عمل كبير احذر أن يقتص منك اعداؤك الخ الخ . . . ،

على المؤلف أن يضع أمرين نصب عينيه : الصدق فى التصوير والاخلاص الفنى

الأستاذ محمود طاهر لاشين

(١) . . . القصة المصرية المحلية متأخرة بلا شك . وستظل متأخرة إلى الأبد ، ذلك لأن القصص « المحلى » — على نحو من مدلول هذه الصفة — مصريا كان أو انجليزيا أو فرنسيا أو المانيا ، ليس إلا أمراً تافها هو بطبيعته متأخر فى كل عصر للمتأخرين فى كل أمة . وبديهى أن السؤال يرمى الى « القصة فى الأدب المصرى » ، وعلى هذا الاساس يمكننا ان نتكلم

وهنا يجب أن نحدد معنى التأخر فى هذا الصدد . فهل المقصود هو تأخر القصة عندنا بالنسبة إلى المثل الاعلى ، أو تأخرها بالنسبة الى باقى فروع آدابنا ؟ . فان كنا نذهب إلى المعنى الاول فليست القصة وحدها هى المتأخرة بل الادب فى مجموعه ، بل مصر فى مجموعها

بل الشرق بأسره . ولهذا أسباب ليس هنا مكان تفاصيلها : أما اذا قصدنا الى مركز القصة من الادب المصرى فانى لا أخفى دهشتى من القول بأنها متأخرة . وأصرح فى غير ماتردد بأنها متقدمة . ودائبة فى تقدمها وسيكون لها الصدر من آدابنا فى المستقبل غير البعيد

إن القصة المصرية وليدة حقا ولقد كنا منذ عشر سنوات أو نحو ذلك نتساءل عن سبب « انعدام » القصة فى الادب العربى عامة . لا فى الادب المصرى خاصة . فهلا نغتبط بأن القصة الفنية قد ولدت فى مصر ، وتقدمت فى هذا المدى الوجيز وفى ظروف الادب غير الحميدة فى هذا البلد . ولا أخالنى مبالغاً اذا قلت بأن الباحث المنصف ليجد بين ماظهر إلى الآن عندنا من الاقاصيص طائفة تشرف الادب العربى كله . وانها لجديرة بان تنهض الى جانب أحسن الاقاصيص الغربية . . . طائفة قليلة طبعا ولكنها تعظم نسبيا حيال مانجده من القصائد المشرفة التى قالها شعراؤنا فى السنوات العشر الاخيرة . مع اعتبار أن لاميراث لقصاصينا فى الادب العربى ، فى حين أن لدى شعرائنا ميراثاً هائلاً يرجع عهده إلى أمرىء القيس ابن حجر الكندى . ونستطيع ان نقول أشبه بهذا عن المقالات والبحوث الادبية

وان مايبدو الآن على الادب القصصى عندنا من الضعف ليس حقيقة واقعة ، بل هو خداع العين حين تنظر الى قلة عدد من يتعهدون هذا النوع الوليد . والى أنهم فى الواقع ليسوا الى الآن من ذوى الشخصيات المتضخمة فى أجوائنا الادبية . والى أن أصحاب هذه الشخصيات لم يشتركوا بعد اشتراكا جديا فى هذا الميدان . وانهم مترفعون عن ان يتأمروا الناشئين المجدين . ولكنى أكرر القول بأن القصة فى المستقبل القريب ستكون الطابع الممتاز لادبنا شأنها فى جميع الآداب العالمية

(٢) القصة الطويلة قد ظهرت فعلا . ولدينا منها عدد يسير ، بعضه لابأس به من ناحية معالجة الموضوع والاسترسال فيه ولكن ليس بينها قصة بلغت شأوا فنيا جديراً بالفخار . والسبب فى ذلك يشترك مع الاقصوصة الى حداثة العهد وعدم وجود الميراث الادبى ثم ينفرد بان القصة الطويلة تضم فى نطاقها حركة واسعة متشعبة قوامها رجال ونساء وحياة عريضة الى حدود مختلفة تنجم عنها مواقف وازمات تستدعى اهتمام الكاتب وتحفز مواهبه القصصية والتحليلية . . . وابن هذا من حياة كالتى نحيا ! . . لايزال الحجاب فيها يفصل ما بين الرجل والمرأة ، فيضم هذه فى زوايا دارها خاملة البدن آسنة النفس ، مقيمة الوجدان . ويقذف بالرجل فى الطرقات ليبذر العمر ــ شبابا وكهولة وشيخوخة فى كل ماهو سخيف

أو عقيم وراكد !! .. ربما يقول قائل ان هذا نفسه موضوع قصة — نعم قد يكون موضوع قصة وقصتين . . ثم ماذا بعد ؟ ذلك الى أن الملل — الملل الذى يشمل حياتنا من جراء تلك المعيشة — سواء شعرنا به أو تغافلنا عنه — انه مزهق للنشاط ، مميت للملكات ، يجلب التواكل والتوانى

ومن جهة أخرى . لايجب أن ننسى ان كل عمل يراد له الاتقان يراد له التفرغ أيضاً . وهنا يثب أمامنا السؤال ، هل يمكن للأديب المصرى أن يعيش بأدبه . فقد يتلكأ المتلكئون ، ولكن الحقيقة الملموسة هى أن أدباءنا — حتى أعلام شأوا واضخمهم شخصية — لم يستطيعوا أن يعيشوا بأدبهم . ولا أخال الكثيرين منهم يخجلون من أن يعترفوا بأنهم قد قاسوا شظف العيش حين حاولوا ذلك . وهاهم الآن بين موظف فى الحكومة أو فى الصحافة . يعتمدون على مرتباتهم من تلك النواحى فى قوام معاشهم وارضاء نزعاتهم الادبية . فأعمالهم الأدبية من طريق هذا المعنى ثانوية لاتستغرق كل وقتهم وذهنهم ، ولا هى مفضلة عندهم التفضيل المطلق . يجب أن ننتظر إلى حين !!

٣ — انى أفضل المذهب الواقعى ، الذى يصف حياتنا كما هى بآلامها وآمالها ومحامدها ومخازيها ، على أن لاتبلغ الصراحة بالكاتب مبلغ الاسفاف وأن لايكون الموضوع محلياً محضاً تتحرك فيه شخصيات محضة فى مصريتها . بل يجب أن نعتبر أنفسنا جزءاً مندمجاً فى الحضارة العالمية وأن نسبر غور تلك النفس على أنها نفس بشرية عامة لاشخصية مصرية خاصة

الاستاذ زكى طليمات

(١) . . . أرى أن السبب فى ذلك يرجع الى ما يأتى :

« ١ » . أن فن القصة على العموم ولاسيما فى شكله الكامل لم يكن فرعا أساسيا من الأدب العربى الذى وضع طابعه على منتجات أقلامنا منذ الفتح العربى . أن القصة كالرواية التمثيلية لا تقوم على الرواية وسرد الحوادث فحسب ، بل هى فى صميمها ضرب من ضروب النقد ولون من ألوان النزوع الى المعرفة البعيدة التى قد لاتجيزها تقاليدنا العريقة فى التحفظ الشديد . أن معبد دلفى بآيته المعروفة « اعرف نفسك » هو غير جامع عمرو وجامع ابن طولون بنقوشه الرتيبة التى تدور على محور زخرفى واحد ترمى الى أن تلقى فى الروع أن كل شىء واحد وأن كل شىء يرجع الى أصله وأن المبتدأ والمنتهى هما طرفا حبل واحد

« ٢ » . لم ننزع بعد الى الاستقلال الفكرى الا منذ زمن قريب وما برحت الاكثرية العالية من أدبائنا تعيسة بحكم حالتنا السياسية والاجتماعية ومن ثم لم يستكمل القصة المصرية


الاستاذ زكى طليمات

طابع محلي بالمعنى الكامل وأقصد بالطابع المحلي ليس فقط تلك الالوان الظاهرة التي في وسع كل كاتب لبق أن يمسح بها سادتها . وانما أقصد وسائل التفكير واسلوب التعبير عن المشاعر

(٢) أما عن سؤالك الثاني يا صديقي فانه يرجع الى روح العصر الذي نعيش فيه . نحن نعيش في عصر السرعة والمغالاة في الافصاح عن خلجات قلوبنا بأقرب الوسائل وأبسطها

ولو وجد اليوم « جوستاف فلوبر » الذي كتب قصة « مدام بوفاري » في أكثر من ثلاثمائة صفحة لكتب قصته الخالدة في أقل من ذلك بكثير

قارىء اليوم يريد ان يرى أكثر مما يقرأ . هذا وان السينما هذا الفن الميكانيكي السابق يفرض علينا قانونه الجديد

وفوق هذا أو ذاك فلا ننس أنه من أبين صفات هذا العصر القلق والتردد وعدم الاستقرار وهي من مخلفات الحرب الكبرى وهذه صفات تعدو بالكاتب والقارىء الى الاختصار

وقد خلف هذا الطابع الاجتماعي أثره على القصة التمثيلية أيضاً فقلما نرى اليوم قطعة مسرحية تقع في خمسة أو ستة فصول كما كان الحال في أوائل هذا القرن

وتعالج اليوم كتابة القصة المسرحية بحكم جدة هذا النوع من الادب وبحكم رواجه نسبياً . ومما لاشك فيه ان الروح السافرة الجريئة التي شملتنا منذ ربع قرن تقريبا حدت بنا الى معالجة هذا النوع الادبي الجرىء، اذ تجد فيه مخرجا (أمينا) لزفراتنا ــ وهي زفرات حارة ــ كما أنه يظهر مظاهر التفكير الحر الذي أخذنا نعالجه بحكم الانتقال والتحرر

(٣) . . . هذا سؤال يربكني قليلا أيها الصديق سيما وانت ترى انني اكتب لك اجوبتي وقد مدت امامي اوراق الاعمال الادارية بالمعهد كأكفان الموتى التي تبغى النشور

انى شخصيا لاأميل كثيراً الى المذهب الواقعى الجاف او (الأخضر) كما يسميه الفرنسيون. اذ ليس الفن هو اعطاء صورة فوتغرافية من الحياة، ولئن وجب ان تكون الحياة اساسا للفن فواجب أيضا أن تكون النتائج شيئا غير تقليد مظاهر الحياة تقليداً مجردا من كل جمال وفتنة احب أن يكون هناك نزوع الى مايستثير خيال القارىء، الى مايبعث فيه أحلاما بعيدة بل الى مايزج به الى التفكر فى المجهول

ولست بهذا اقر مذهب الرمزيين (Symbolistes) وان كنت أحب من كل قلبي مظاهر هذا الفن عن هنريك ابسن وعلى كل حال فان القصة المصرية تنتمى وستنتمى الى المذهب الذى يحدده المزاج القومى لبلادنا

هذا واسمح لى مادمت فى صدد القصة والقصاصين المصريين أن احيى مجهود الاساتذة محمود تيمور واحمد الصاوى محمد ومحمود طاهر لاشين وسعيد عبده ويحيى حقى واسماعيل المكى وغيرهم ممن يعالجون تقرير القصة المصرية فى أدبنا المصرى الحديث

وفوق هذا وذلك فأنى اشكر لك اقتدارك على هذه الاسئلة الجليلة التى تجعلنى احلم برؤية أدب مصرى صميم مستكمل لجميع مقدماته القومية المصرية



العمى فى مصر والثروة الضائعة بسببه

يوجد فى مصر حسب تعداد سنة ١٩٢٧ : ٢٧٢،٥٠٠ أعمى بعين واحدة و ١١٠،٨٠٠ بالعينين . وعلى هذا الأساس كانت نسبة عدد العميان فى كل ألف من السكان ١٩ بعين واحدة و ٨ بالعينين وهذه نسبة كبيرة جدا اذا قورنت بمثلها فى البلاد الاوربية وأمريكا التى لا تزيد فى المتوسط على واحدة فى الالف .

ولقد نقصت نسبة العمى الحالية عما كانت عليه فى سنة ١٩٠٧ نقصا كبيرا وذلك بفضل مجهودات مصلحة الصحة فى مكافحة أمراض الرمد التى تمثل ٩٠ فى المائة من أسباب العمى فى مصر إلا ان النسبة الحالية مازال كبيرة . وقد اهتمت الجامعة الامريكية منذ أربع سنوات بنشر الدعوة الصحية فى الارياف ومن ضمنها العناية بالبصر بواسطة مسابقات بين الطلبة الذين يتطوعون لنشر الدعوة فى القرى فى أثناء العطلة المدرسية السنوية . ومنذ سنتين وجهت الجامعة اهتماما وجه خاص الى نشر الدعوة للعناية بالبصر واقامت مسابقتين لعمل رسوم رمزية الغرض منها مقاومة فقد البصر وضعفه واشترك عدد كبير من الطلبة فى مسابقة هذه السنة ووزعت الجوائز على الفائزين منهم فى آخر مارس الماضى .

ولا تخفى أهمية مقاومة العمى على أحد الا انه يحسن ان نلفت النظر الى الخسارة المادية الناتجة للقطر من وجود هذا العدد الكبير (١١٠،٨٠٠) من العميان فى مصر .

ان الاعمى علاوة على عدم امكانه القيام بأى عمل منتج لعدم وجود مدارس تعلم الصناعات التى تلائم حالته ، هو عالة على الهيئة الاجتماعية . وقد سبق ان أشرنا الى ان ٩٠ فى المائة من العميان فى مصر أى ٩٩٧٢٠ من ١١٠،٨٠٠ فقدوا بصرهم بسبب أمراض العيون المختلفة ، الا انه يحسن من باب الاحتياط ومراعاة للذين يولدون عميانا تخفيض هذا الرقم الى ٩٠،٠٠٠

واذا قدرنا ان الاعمى ، وهو عادة من الطبقة الفقيرة ، كان فى امكانه ان يربح فى المتوسط ١٥٠ غرشا فى الشهر بواقع خمسة غروش فى اليوم الواحد ، بلغت الخسارة فى الايراد السنوى للقطر بسبب وجود هذا العدد الكبير من العميان ١،٦٢٠،٠٠٠ من الجنيهات اما النفقة التى تتحملها الهيئة الاجتماعية بسبب اعالة هذا العدد فلا نكون مغالين مطلقا اذا قدرناها بمثل هذا المبلغ اى ١،٦٢٠،٠٠٠ جنيه .

ويلاحظ أن الأعمى كثيراً مايضطر الى الاعتماد على احد الفقراء أو الصبية لمرافقته فى تسوله وتجواله فى الطرقات ، فاذا فرضنا أن ثلث العميان يرافقون بهذه الطريقة فان مجهود هؤلاء المرافقين يضيع هباء وتفقد الأمة لذلك انتاجهم الذى كان يعود عليها من تأديتهم أعمالا نافعة بدلا من هذه المرافقة

ويجب أن لاننسى أيضاً أن هؤلاء الفقراء أو الصبية المرافقين للعميان أصبحوا أيضاً عالة على الهيئة الاجتماعية

ولتقدير هذه الخسارة المزدوجة يجب الأخذ بتقدير قيمة أنتاجهم فى الاعمال المفيدة التى كان يجدر بهم القيام بها ، فاذا قدرنا انه كان يمكنهم ان يحصلوا على ايراد قيمته نصف جنيه شهريا لوصلت الخسارة المزدوجة الى ٣٦٠٠٠٠ جنيه فى السنة

وبناء على التقديرات السابقة تكون الخسارة التى تتحملها مصر من وجود هذا العدد الهائل من العميان فيما يأتى :



جنيه	
١٠٦٢٠٠٠٠	تقدير انتاج العميان فى مصر
١٠٦٢٠٠٠٠	تقدير نفقة اعالتهم
٣٦٠٠٠٠	مجهود مرافق العميان الضائع
٣٠٦٠٠٠٠٠	جملة الخسارة السنوية

انه لمبلغ عظيم على الرغم من انه بنى على تقديرات ضئيلة لايراد العميان والنفقة المترتبة على وجودهم . ولم يدخل فيه نفقة إعالة الفقراء والصبية المرافقين للعميان . وضياع هذا المبلغ الكبير سنويا على مصر هو أكبر مبرر من الوجهة الاقتصادية لمطالبة مصلحة الصحة بزيادة اهتمامها بمكافحة أسباب العمى فى مصر وتعميم مستشفيات الرمد فى جميع انحاء القطر ، ووجوب قيام كل مصرى بنصيبه فى نشر الدعوة للعناية بالبصر

د . م . ف . ع

عادة السعادة وكيف نتعودها

كلمة ألقاها الاستاذ زكى حكيم بجمعية
الشبان المسيحية بأسيوط

تكثر المتناقضات فى تعريف السعادة والوسائل المؤدية لها وأمام هذا الخبط فى الوسائل التى تؤدى الى طريق السعادة ، لا يمكننا إلا أن نعترف بأن السعادة أمر داخلى نفسى ، ليست لها وسائل خارجية تكون سبباً لها . فرب شخصين تهيأت لهما ظروف مختلفة متباينة ، فأحدهما متزوج والآخر غير متزوج ، وأحدهما ثرى والآخر فقير ، وأحدهما مزاجه عصبى يختلف عن مزاج الآخر ، وبعبارة قصيرة يختلف أحدهما عن الآخر من جميع الوجوه والظروف ومع ذلك كلاهما سعيد بهنأ بما عليه من حالته . إذن ليست هذه الأسباب والوسائل المتناقضة التى أحيطت بكل منهما هى سبب سعادته ، بل سعادتهما هى أمر داخلى فى نفسيهما لادخل له بظروفهما الخارجية

إذن يمكننا أن نقول — بعدما أثبت علماء النفس ذلك — إن السعادة ما هى إلا عادة . نعم سعادة النفس فى هذه الحياة ما هى إلا عادة يتعودها الانسان كبقية عاداته التى اعتاد . فمثل العادات فى الأكل وفى التكلم ، والكتابة والجلوس وغيرها ، يمكنه أن يعتاد الترتيب والتناسق فى التفكير ، والتعمق فيه ، والتأنى فى الحكم أو السرعة فيه ، وصحة الاستدلال وحصر الانتباه ، وسرعة الغضب ، وشكله ، ومظهر الفرح ، وضبط النفس أو استرسالها ، كما يمكنه أن يعتاد الا يتمادى فى الغضب ، ويعتاد أن يرضى بأى حالة يعيش فيها مهما كانت ظروفها ، ويعتاد ألا يتبرم بالحياة ولا يترك نفسه للهم والسأم والعصبية ، كما يعتاد أن يكون بشوشاً ضاحكا ، بهجة لنفسه ولمن حوله . فمن اعتاد هذه الصفات قد اعتاد أن يعيش سعيداً

إذن لابد أن نشرح بعض النظريات النفسية ، ومكنونات النفس الداخلية حتى يمكنكم معالجة أنفسكم وتوجيهها نحو السعادة فى هذه الحياة

فأول شىء أمامنا الآن أن نشرح لكم ما هى العادة وأهميتها ؟ وكيف تكون العادات الحسنة فى أنفسنا وكيف نقضى على العادات السيئة . ثم ننتقل بعد ذلك الى السبب فى همومنا وسأمنا وعصبيتنا وكيف نقضى عليها جميعاً فنعيش وقد أعددنا العدة للقضاء على همومنا والتغلب على سأمنا وعصبيتنا ، وبمعنى آخر كيف نعيش سعداء ؟

ما هي العادة ؟

العادة ميل مكتسب بالخبرة والمران يسوق الانسان الى تكرير فعل ما ، جثمانيا كان أو أو عقليا بطريقة معينة كلما تهيأت الظروف التى تناسب ذلك الفعل

إذن العادة (١) ميل (٢) وهذا الميل مكتسب غير موروث (٣) وأنه مكتسب بالتكرار والتمرن . ومعنى ذلك أن كل عادة يمكن أن نكتسبها أو نتلقنها وهذا الاكتساب يكون بالتكرار والتمرن

ويحسن بنا أن نقارن بين الغرائز والعادات . فكلاهما ميول نفسيه ولكن الغرائز فطرية موروثة ، فى حين أن العادات مكتسبة

فالغرائز أساس سلوك الانسان الفطرى الموروث عن النوع كله ، وهذا السلوك واحد فى كل الناس عام فيهم . أما العادات فهى سلوكه المحدود المكتسب بالتعلم ، لا الملقن الوراثة العامة

وللعادات أثر كبير فى حياة الانسان الفردية والاجتماعية . فتكوين العادات هو تعديل الانسان وانفعالاته النفسية وتوجيه لها . فاذا ألف المرء شكلا من السلوك أصبح ذلك مفضلا على غيره وكلما ازداد ألفة ازداد تفضيلا

أهمية العادة

للعادات شأن كبير فى حياة الانسان فرداً ومجتمعاً . أكبر مما يقدره لها سواد الناس . فسلطان العادة يتحكم فى الجزء الاكبر من سلوك الانسان فى مختلف مواقفه وأحواله وأعماله . فاكثر أفعال الانسان ليست إلا عادات له اعتادها قصدا أو عرضاً

فلو أن امرأ راقب أفعاله يوماً ما ساعة يهب من نومه الى أن يعود الى مخدعه لرأى أن غالب ما يصدر عنه ليس سوى أفعال آلية تتكرر هى هى كل يوم . فنظامه فى زيه وفى مأكله وملبسه وحديثه بل فى تفكيره ، وفرحه وترحه ، وتأسفه وتألمه . يسير فى كل ذلك على وتيرة واحدة ثابتة تكاد لا تتغير . فكثير من فضائل المرء التى يفخر بها ويمدح من أجلها ليست إلا عادات له . مثلها كمثل رذائله التى يود الخلاص منها . فالمرء ليس فى الحقيقة إلا طائفة من العادات تمشى على قدمين : عادات فى التفكير وفى الفعل ، وفى الوجدان . وهذه العادات هى المادة التى منها يتألف سلوكه ، وسلوكه يكون خلقه . وخلقه هو الذى يطبعه بذلك الطابع الذى يتسم به ، والذى يدفع به الى سعادته أو شقاوته ، نجاحه أو خيبته ، ويميزه عن غيره من الناس وإن خيراً فخير وإن شراً فشر

سلطان العادة

إذا تعود الانسان عادات فهو لايستسهل تغيير عاداته أو تعديلها أو السمو بها . فني ذلك مشقة عليه وألم كبير . فاذا تمكنت في المرء عادة ما أعمته عن غيرها من العادات فيصبح عاجزاً عن أن يرى خيراً في سواها وإن رآه لايستطيع أن يتبعه . فمن اعتاد التشاؤم يصعب عليه أن يتفاءل . ومن اعتاد الحزن والكآبة لأقل شيء يطرأ على حياته يصعب عليه أن يتحول من عادة الحزن الى عادة التفريج عن الهموم وعدم المبالاة ، وبعبارة صغيرة من اعتاد الانقباض والحزن لأتفه الامور لايرى يوم فرح في حياته وترسم الهموم على وجهه أساريز يصعب عليه محوها ، ولذلك كان الشقاء عادة وكانت السعادة عادة

كيف نتخلص من العادة ؟

التخلص من عادة سيئة كما قلنا ليس بالشيء السهل ، لان العادة مبنية على تغيرات فعلية تحدث في الجهاز العصبي ، (وضيق المقام يمنعنا عن شرح ذلك) . وهذه التغيرات تثبت وتزداد ثبوتاً كلما نما الانسان وتقدم في العمر . فالتخلص من عادة سيئة لايكون بقتل هذه العادة وانما بتكوين عادة طيبة ضدها ، وبالتمرن على تلك العادة الجديدة تمرنا متواصلا ، وبالامتناع عن الرجوع الى العادة القديمة امتناعاً تاماً ولو مرة واحدة

وليس من شك في أن الانسان يشعر بألم غير قليل عند التخلي عن عادة قديمة ألفها ، ولكن هذا الألم يجب أن يحتمل بالصبر والعزيمة الصادقة . إذ بهذا وحده ترسخ العادة الجديدة وتضعف العادة القديمة . فالتخلص من عادة ما إذن معناه تعود أخرى ضدها ، وظاهر أن ذلك لايتم في يوم وليلة بل يستغرق وقتاً قد يكون طويلا . فاذا أردنا أن نتخلص من عادة الغضب يجب علينا أن نتعود الحلم ، وإذا أردنا أن نتخلص من عادة الشدة والحدة وجب علينا أن نتعود اللين وعدم المبالاة فيقل الاستفزاز وتقل الآلام النفسية . وإذا أردنا أن نتخلص من عادة التشاؤم في الحياة وجب علينا أن نتعود التفاؤل فيها ، وبذا يمكننا أن ننقلع عن عادة الشقاء إلى عادة السعادة

كيف تكون العادة ؟

لتكوين العادة الجديدة وغرسها في النفس قواعد وتظم تجب مراعاتها سواء أكان المقصود أن يعود المرء نفسه عادة ما أويغرسها في نفوس سواه ممن عهدت اليه تربيتهم والقيام بشؤونهم سواء أكان والداً أم مربياً

أولا — المبادرة بتكوين العادات : ينبغى أن نبادر بتكوين العادات فى دورى الطفولة والشباب . وذلك لان الجهاز العصبى يكون وقتئذ مرنا وأكثر قبولا للتأثر وأقدر على الاحتفاظ بالأثر منه فى أى وقت آخر . ولكن ليس معنى هذا أن نيأس نحن الكبار من إقتلاع عادات وتكوين أخرى مكانها بعد أن تركنا دورى الطفولة والشباب . بل معناه أنه ليس من السهل ذلك . وما دام ليس من السهل فهو ليس من المستحيل . بل الاقتلاع كما قلنا يحتاج إلى ألم وهذا يجب أن يحتمل بالصبر والعزيمة الصادقة وقوة الارادة وطول الأناة

ثانياً — إيجاد الباعث : فمتى وجد الباعث أمكن الاندفاع الى تكوين العادة . فالانسان لايكاد يعمل شيئاً من غير أن يكون مدفوعا اليه بباعث يشعر به . فاذا وجد عندى باعث المحافظة على الصحة ، تعودت عادات من شأنها محافظتى على صحتى وإبعادى عن مسببات المرض . وإذا وجد عندى باعث الفضيلة تعودت عادات تبعدنى عن الرذيلة . وإذا وجد عندى باعث المعيشة عيشة سعيدة تعودت أن أعيش سعيداً .

ثالثاً — التلبية الأولى : إن العادات لاتتكون وترسخ من مزاولتها مرة واحدة . ومع ذلك فان للتلبية الأولى أو بمعنى آخر للتأثير الاول أثراً كبيراً فى تكوين العادة ، ولو لم يكن ثمة أثر للمرة الأولى لما كان للثانية أو الثالثة أثر ما . ولصار تكوين العادة مستحيلا . لذلك يجب أن نحرص على أن تكون المرة الأولى صحيحة متقنة بقدر الامكان ومن النوع المطلوب إذ أنها لاشك ستكون سابقة تتبع

رابعاً — حصر الانتباه : إن حصر الانتباه فى الشىء المراد تعلمه واعتياده ضرورى كل الضرورة فى البداية ، حتى لايأتى الانسان بالخطأ فى أثناء تعلمه ، وإذا أخطأ فقد تعود الخطأ واستمر فيه

خامساً — التكرار : إن التكرار أساسى فى تكوين عادة ما . إذ العادة كما قلنا قلما تتكون من مرة واحدة . وقانون العادة ينص على أن العمل إذا تكرر زاد الميل اليه وسهل على النفس القيام به مهما كان مراً مؤلماً فى بدايته . فالتكرار هو الذى يجعل عملا ما آلياً ، وإذن يصبح عادة . فما العادة إلا تكرار عمل ما أو فكرة ما . فاذا كرر الانسان عملية الضحك أو الابتسام وقت الغضب أو الكارثة يصبح هذا التكرار عادة ، وإذا تعودنا الضحك والابتسام فى أوقات همومنا أصبحت لاهموم لنا تبقى لها أثراً فى نفوسنا ، بل تبقى همومنا عوارض وقتية هى بنت ساعتها ، وما دامت لاهموم لنا تؤثر فى أنفسنا وصحتنا وحياتنا ، لحياتنا نقضيها فى سعادة .

وقبل ختام كلمتنا عن العادة يحسن بنا أن نذكر ماقاله العالم السيكلوجى وليم جيمس إذ

ذكر أربع قواعد يجب اتباعها عند تكوين عادة جديدة أو التخلي عن أخرى قديمة قال :ـــ

أولا : إذا شئت أن تعود نفسك عادة جديدة أو تتخلى عن أخرى قديمة فلتبدأ ذلك بكل مالديك من عزم وتصميم . ولتحط نفسك بجميع الظروف والاحوال الممكنة التى تساعد البواعث الصحيحة الدافعة إلى تكوين هذه العادة . ارتبط مع غيرك ارتباطات كثيرة لاتتفق والعادة القديمة ، وأقطع على نفسك العهود أمام الناس بأنك لن تعود اليها

ثانياً : لاتسمح لنفسك بمخالفة العادة الجديدة قبل أن ترسخ فى نفسك وتعلق جذورها بحياتك . فكل رجعة إلى الوراء مثلها كمثل بكرة أفلتت من يد المشتغل بلف خيط طويل عليها ، فكل مرة تفلت البكرة من يده ينحل منها خيط طويل تقتضى إعادة طيه عدة لفات كثيرة . فدوام التمرن والتدريب هو الوسيلة الوحيدة الى جعل الجهاز العصبي يعمل الصواب من غير أن يزل أو يحيد عن طريقه الذى ألفه

ثالثاً : إنتهز كل فرصة سانحة لتعمل ما اعتزمت عمله واعتياده . واتبع كل انفعال نفسانى تجده فى نفسك ما دام يدفع بك فى سبيل مااعتزمته وعقدت النية عليه . على أن مجرد العزم وحده لايكفى ، بل تنفيذ ما اعتزمته هو الذى يعينك على تكوين العادة فى نفسك . فمهما حفظ الانسان من العلم والامثال والقواعد ، ومهما حسنت عواطفه ، فان خلقه لايتحسن مادام لم ينتهز كل فرصة سانحة لينفذ ويعمل كل ماعزم عليه

رابعاً : استبق قدرتك على بذل الجهد حية فى نفسك ، وذلك بأن تكلفها القيام بعمل تافه صغير كل يوم ، لاحباً فى ذلك العمل ، وإنما حباً فى مخالفة هوى النفس وميلها إلى عدم القيام به . فان من يعود نفسه الانتباه وحصر الفكر وصدق العزم وانكار الذات فى تافه الامور وصغائرها يرى نفسه عالى الرأس ، ثابت القدمين . ومن هذه صفاته فهو سعيد

ننتقل الآن الى النقطة الثانية من بحثنا وهى ماالسبب فى همومنا وسأمنا وعصبيتنا . وكيف نقضى عليها جميعاً . وإذا أردنا التكلم فى ذلك فلا بد لنا من أن نشرح نظرية العقل الباطن فى علم النفس ولنفسر ذلك الآن أوجز بقدر الامكان حتى يمكن أن أوضح ما أقول :

أن النفس مؤلفة من عقلين : (١) العقل القديم وهو ماورثناه من اسلافنا وهو عقل الشهوات والنزوات وهو غير واع يجرى فى أساليبه على طرق الثقافة القديمة حين

بدأ الانسان يدخل في طور الانسانية وقد اصطلحنا على أن نسميه العقل الباطن أو اللاشعور أو الواعية الخفية وهو ما يقال له بالانجليزية Unconscious Mind الذي يعمل أعماله على غير وعي منا في الخواطر التي يمكن أن تسمى أحلام اليقظة، وفي الأحلام أي وقت النوم حين يكون عقلنا الواعي نائماً . ثم (٢) العقل الواعي الذي نعرف به الأمس والغد وندبر به ونفكر وفيه بذور المنطق وهو واع أي نعي بأعماله أو قل هو عقل اليقظة

كيف يحدث سأمنا في الحياة وهمومنا وعصبيتنا ؟

نرى كثيراً من الناس يعمل عمله وهو سئم متراخ دائم التشاؤم، ومن الناس من يشكو الهم أوانه يأرق في الليل، ومنهم العصبي المتردد الذي يحسب لكل شيء ويخاف من كل شيء، ومنهم من هو ساخط على الدنيا وما فيها ومن تحويه غير راض بحالته التي هي في الغالب موضوع الحسد من الكثيرين، فما سبب ذلك من الوجهة النفسية ؟

انا عرفنا أن لكل انسان عقلين العقل الواعي والعقل الباطن . وأن العقل الباطن قد يطغى على العقل الواعي فيحدث الجنون أو الانحرافات العقلية أو الحالات العصبية . أو يكون الانسان عادياً أي في حالة عادية فيكون عقله الواعي دائم اليقظة منتبه يكيف الاشياء تكيفاً منطقياً معقولا ويكون عقله الباطن متفقاً مع عقله الواعي فيقبل على عمله متحمساً راضياً مؤملا فيه النجاح

ولكن اذا اختلف العقل الباطن مع العقل الواعي وقام بينهما النزاع أدى ذلك الى السأم والهم والعصبية والتشاؤم والتردد في الاعمال وكل شيء يؤدي الى الخيبة وسوء المصير

ولكي نوضح ذلك نأتي بمثل ، فنفرض أننا وضعنا على الارض لوحا طويلا من الخشب وطلب منا أن نمشي عليه . فنفعل ذلك من غير تردد وننجح في السير عليه من غير أن نسقط لاننا لانخشى السقوط لانه هو نفسه على الارض فلو سقطنا لما جرى لنا شيء من السقوط .

ولكن هب ان هذا اللوح نفسه قد وضع على ارتفاع خمسين متراً بين جدارين وطلب منا بعد ذلك أن نمشي عليه . فهنا نصاب بالتردد والعصبية التي منشأها النزاع والاختلاف بين العقل الواعي والعقل الباطن . فعقلي الواعي أجد أنه ليس هناك مايدعو الى الخوف وأن

المنطق يقضى بأنه مادام اللوح هو نفسه الذى مشيت عليه وهو على الارض ولم أقع فانى يمكنى أن أمشى عليه وهو بين الجدارين ، ولكننى فى هذا الوقت أتذكر الارتفاع الهائل فأعمل حساباً للسقوط ويندس هذا الخوف فى عقلى الباطن فأقف موقف التردد هو الحال العصبية التى أشعر بها . وما دام عقلى الباطن يفكر فى السقوط فالاغلب أنى أسقط بالفعل. وذلك لان كل أعمالنا ترجع الى الاعصاب بما فيها المخ فاذا فكرت فى السقوط أو بالاحرى اذا خطر السقوط فى بالنا فان أعصابنا تحرك أعضاءنا فى ناحية السقوط لأنها توحى الينا هذا الخاطر

إذن حصلت هذه الحالة العصبية من النزاع والاختلاف الذى قام بين العقلين الواعى والباطن . وشبيه بتلك العصبية الحالة التى تشعر بها فى الامتحان حين تكن عاطفة الخوف فى العقل الباطن فتربكنا وتنسينا ماحفظناه .

والعقل الواعى مادام تام اليقظة فانه يكبت العقل الباطن ولكنه يغفل أحيانا من الاعياء مثلا فتهجم علينا الخواطر من العقل الباطن فتحدث لنا هذه العصبية . ولكن اذا كثرت الخواطر علينا صرنا نسأم العمل وصرنا نشعر بالهم الذى يحول دون الانكباب على العمل

قرأت من أسبوعين شكاية طالب فى مدرسة التجارة العليا يقول انه توجه بفكره من صغره أن يدخل مدرسة الهندسة لأنه يهوى هذه المهنة وتشبع بها ولكن هذه المدرسة سدت فى وجهه وبعبارة أخرى هذه المهنة التى يهواها من صغره حيل بينه وبينها لأنه لايمكنه أن يتعلمها فى خارج مصر لعدم مقدرته المالية . وعليه اضطر اضطراراً الى الالتحاق بمدرسة التجارة العليا وهو لايعرف ماسيئول اليه مصيره بعد التخرج منها . وأمثال هذا الطالب كثيرون فى مصر للاسف . فهل هؤلاء يمكنهم أن ينجحوا فى الحياة العملية ؟ وهل مثل هؤلاء يعيشون وهم سعداء يقبلون على عملهم متحمسون راضون مؤملون فيه النجاح ؟ الحقيقة أنهم سئمون متراخون دائمو التشاؤم . لهذا السبب تجد الرجل السعيد الناجح فى عمله يحبه وربما كان يهواه وهو صغير فهو يقبل عليه كما يقبل على اللعب فيعمل بحرارة ولذة . وذلك لان هذا الحب يجعل العقل الباطن على وفاق مع العقل الواعى فلا يحدث بينهما هذا الاختلاف الذى يحدث العصبية والسأم والهم فى حياته ويكون سبباً لشقاوته حتى مع أسرته

ولكن كما رأينا ليس كل منا قادراً على أن يجعل مهواته التى يهواها عمله الذى يعمله ويعيش منه . وعلى ذلك يمكن كل إنسان أن يعرف هوى نفسه ويسلم لعقله الباطن بشيء من نشاطه حتى يخفف ضغطه للعقل الواعى . وقد يكون ذلك بممارسة الرياضة أو الرسم أو القراءة أو الموسيق أو التجارة أو نحو ذلك . فاذا خصص كل إنسان برهة من يومه لكى يعمل عملا يهواه فى لباب نفسه فان العصبية والهموم تقل ان لم تنتف بتة

ولكن هناك هموماً لابد من حدوثها ولا مفر منها . وخير علاج لها هو الفصل فيها بسرعة . ومتى فصل فيها فصلا حاسماً انتهى منها العقل الباطن . فاذا كان شقاق بين زوجين لا ينقطع وجب الفصل فيه والانتهاء منه . وإذا كان خصام مع أحد الناس يتمادى ويطول وجب البت فيه ولو بخسارة

زكى حكيم



الماء في الهند

وقع فى الهند حديثاً تصادم بين الجبارية والبراهمة كان منشأه اعتداء الجبارية على خزان عام للمياه

والجبارية أو المنبوذون هم فى نظر الهندوكيين أرجاس يكفى ان يقع ظلهم على شيء ما ليصبح رجساً قذراً تستدعى طهارته مراسم دينية شتى

وللمياه قدسية وحرمة فى نظر الهندوكيين وليس مرجع ذلك خرافة أو اسطورة لاوزن لها . وانما مرجع ذلك تقديس الهندوكيين لكل ما فى الطبيعة وخاصة الماء . ومهما يكن مرد قدسية الماء فقد أصبحت عقيدة متغلغلة فى نفوس الهندوكيين لم تضعف خلال عشرات القرون الماضية . وبقيت ظاهرة اجتماعية حتى فى الهند الحديثة نفسها

وقد اعتدنا نحن ان ننظر للماء كمجرد سائل طبيعى نستعمله فى النظافة والارتواء والاستحمام فمن العسير ان نفهم مركزه الشاذ عند الهندوكيين . إلا إذا نظرنا للمسألة فى ضوء سيكولوجية ذلك الشعب . والواقع أننا قد نتقدم خطوة فى هذا السبيل إذا نحن وضعنا حالة الهند الطبيعية نصب أعيننا . فان الجدب يستمر فى الهند تسعة أشهر طوال يعقبها مطر غزير خلال بقية السنة وقد يمتنع الماء بتاتاً فى بعض الأصقاع . فلا غرابة ان كان للماء مثل هذه القدسية المتغلغلة فى نفوس الشعب الهندوكى . والماء فى نظر الهندوكى هو العامل الوحيد الفعال فى ازالة الرجس عنه وتطهيره من الخطايا . وانما يجب لكى يكون له مثل هذا الأثر أن تتبع بشأنه مراسم خاصة لاحاجة بنا الى الخوض فيها . وليس الخاطىء هو الذى لا يستعمل الماء فى أغراضه الدينية فحسب وانما قد يستعمله التقى أيضاً ليزيد طهارة وتقوى . وثمة عملية فذة يقوم بها الهندوكيون الصالحون كل يوم قبـــل مطلع الشمس . ذلك أنهم ينظفون أسنانهم بالمسواك والماء . فاذا ما انتهوا من ذلك بدأوا فى الاستحمام فى الانهار إذا وجدت وإلا فهم يكتفون بصب الماء على أجسامهم من الأوانى المطهرة . وحين ينتهون من ذلك يشربون ماء مقدساً حتى تطهر نفوسهم وأرواحهم . فاذا طلعت الشمس حيوها بصب الماء فى الهواء من آنية مقدسة . وبجانب هذا الطقس الدينى اليومى تقوم الطقوس المختلفة فى الأيام الحاسمة من الاعمار . فهناك يوم الميلاد والخطبة والزواج والموت ويتبع فى شأنها مراسيم مختلفة الماء فيها هو العنصر المقدس الأول

وخير خاتمة للهندوكى مهما كان شقياً أثناء حياته هو الموت على شاطىء نهر وغسله فيه ثم حرقه على الشاطىء وذر رماده فيه . فمثل هذا الميت يضمن حياة جديدة فى شكل سام

وماء الانهار هو أعظم أنواع المياه قداسة وحرمة وله فى نظرهم أثر فعال فى التطهير والشفاء . وزيارة واحدة لبنارس حيث يمر نهر الكنج تقنعك بهذا الزعم فان حجاجا لا اعداد لهم من المجذومين والسائلين والمجرمين والعقيمات والعذارى المهجورات والصالحين يقصدون اليه أفواجا طالبين الشفاء أو الطهارة

وللآبار ركز خاص ولكى تصبح العين مقدسة يجب اتباع مراسم خاصة لتعميدها وتطهيرها وهناك عيون قدة لتعلقها بأساطير قديمة . من ذلك عين العرفان فى بنارس حيث يزعم الهندوكيون أنها كانت ملجأ للرب سيفا حين فر من القائم المغولى أورانجزب الذى هدم معبده

والهندوكيون يقدسون الاوانى التى يضعون الماء فيها وهم يهتمون بها اهتماماً خاصاً حتى ليخلو البيت من الأثاث إلا تلك الأوانى المزخرفة

وهم يصنعونها من الفخار (مثل القلل عندنا) أو النحاس وقد تدخل مطبخ الهندوكى فتجد تلك الأوانى قد صفت صفوفا . تلمع فتبهر بصرك . ذلك أن الهندوكى لا يهتم كثير بمأكله قدر عنايته بالماء الذى تقوم عليه حياته كلها

وهم يخشون عليها من الرجس فلن يسمحوا بوقوع ظل منبوذ أو أجنبى عليها ولن يسمحوا لأحد باستعمالها حتى لا يدنسها

وينحت القوم الأساطير المختلفة على تلك الأوانى المزخرفة فقد ترى الآلهة ذات رؤوس الأفيال وقد حاول الصانع أن يحكى لك قصتها على الآنية فتأخذك روعة الفن ودقته

ومن حسن الحظ أن يكون الفخار رخيصاً فى الهند فهم يصنعون الأوانى هناك من الطين كما نصنع نحن قللنا . ذلك أنهم يستعملونها لوقت قصير إذ قد تتدنس لسبب ما فيضطرون لاهمالها واستبدالها بغيرها . فمن حسن الحظ أن تكون الأوانى رخيصة كما قلنا



الجندية والانسان

درامة تأليف الكاتب العالمى برنارد شو — تلخيص عبد الحميد يونس

ليس من شك أنك قرأت لبرنارد شو أو على الأقل قرأت عنه ، فهو الكاتب العالمى الذى اقتفى أثر هنريك إبسن واتخذ الادب وسيلته الى نشر آرائه فى اصلاح المجتمع، ونقدانه لكل ماتواضعت عليه الانسانية من عرف وتقاليد ، واختارا الدرامة لقوة تأثيرها مطيته فى التعبير عن معتقداته ، وهو يمتاز بالصراحة لايعرف المجاملة ولا يأبه باللوم ، يسخر من هؤلاء ويتهكم بهؤلاء فى قسوة وعنف حتى لقبه بعض النقاد الانجليز بالكاتب « الهدام » ولكنه فى الحق يعمل للهدم كما يعمل للبناء . فاذا كان قد سلب الجندية من عظمتها، والتاريخ من روعته ، والجنس من أسطورته ، والعلم من سحره، والدين من قداسته فان أفكاره مهدت وتمهد للاخاء الانسانى ، والاشتراكية والسلام العام ... ودراماته تستحق القراءة كما تستحق الدرس والمشاهدة رغم أنها مشتقة من صميم الحياة الواقعية

وسأحاول فى هذا الفصل المتواضع أن ألخص لك المهزلة المعروفة باسم « الجندية والانسان » ولا تطالبنى أن أنقل لك الاثر القوى الذى أحدثته هذه المهزلة فى نفسى . ويكفيك أن تعلم أنها أعجبتنى والانسان إذا أعجبه شىء يريد أن يشاركه الناس فى هذا الاعجاب . وأرجوك أن تفهم أن مهازل برنارد شو لاتدعو الى القهقهة والضحك إذ قال فى مقدمته « كل أبله يستطيع أن يضحك الناس بما يكتب ولكن المؤلف الذى يستحق هذه التسمية هو الذى يدعو الناس الى التفكير الايجابى المنتج ، وهو فى هذه الدرامة التى أحاول تلخيصها لك يريد أن يذيع فى الناس أن الجندية ليست كما يتوهمها الناس فى عظمتها وفخارها وسموها ، وأن كل جنود الدنيا تقريبا من المرتزقة ، وان الحرب نوع من الاحتراف لا أكثر ولا أقل !

• • •

نحن الآن فى بلغاريا أيام حرب البلقان فى مدينة قريبة من « ممر الترجمان » فى أواخر نوفمبر عام ١٨٨٥ حيث نرى « ريفيا » الشابة البلغارية الجميلة تطل من شرفة حجرة نومها تتمتع برؤية مناظر الطبيعة التى يكسوها ضوء القمر فى هذه الليلة جمالا على جمالها ، وبعد

برهة تدخل عليها أمها « كاترين » مشرقة الوجه ضاحكة السن فتسرد على ابنتها أخبار واقعة « كلفنترا » وكيف انتصر « سرجيوس » البلغارى على الصربيين . ثم يكون بينهما حوار شائق نفهم منه أن الفتاة كانت تشك فى مقدرة خطيبها « سرجيوس » وإنها كانت تظن أن رأيها فى بطولته كان ناتجا من قراءتها لمثل « بيرون » و « بوشكين » ! وهنا تدخل الخادمة « لوكا » وهى على شىء من الكبرياء رغم ضعة المهنة التى تنتسب اليها — لتقول لهما بوجوب اغلاق النوافذ كلها لان الجنود البلغارية ستعقب الهاربين من الاعداء فى طرق المدينة . وعندئذ تسمع هذه الجملة التى تدلك على رقة قلب « رينا » وسمو عاطفتها الانسانية « وأى نحر فى قتل الهاربين البؤساء ؟! » ثم تخرج الام وتتبعها الخادمة : ويجب أن تلاحظ أن هذه الخادمة تكره سيدتها الصغيرة وتحسدها . . .

تذهب فتاتنا الى صورة خطيبها سرجيوس تناجيها فى حماسة واعجاب ثم تتناولها بيدها فلا تقبلها أو تضغط بها على صدرها وانما ترفعها الى أعلى كما تفعل الكاهنات! وتعيدها الى مكانها وتأخذ كتاباً تقرأ فيه وهى مضطجعة على فراشها فى راحة واطمئنان حتى تسمع دوى الطلقات النارية فتسرع الى اطفاء الشمعتين المضاءة بهما الحجرة ، وتضع أصابعها فى أذنيها ، ولكنها مع هذا تسمع صوت استغاثة قريبة . . . وبعد لحظات يفتح باب الشرفة من الخارج فجأة ، ويظهر فى الحجرة ضوء عود من أعواد الثقاب تتبين منه أن الداخل شبح جندى غريب! وليس من شك فى أن الفتاة ارتاعت ، وليس من شك فى أنها نادت فى فزع ورهبة ، من الداخل ؟ من هنا ؟ ، فيجيبها الرجل ان تصمت والا تفعل ما يريبه والا أطلق عليها الرصاص ثم يأمرها ان توقد الشمعة . . وهنا تدرك ان الرجل من ضباط الاعداء لم يجد مفراً غير تسلق الجدار ودخول هذه الغرفة ، وهو مشعث بادى الاضطراب ملابسه ملوثة بالوحل ! وانظر اليه كيف استطاع أن يثير كوامن الرحمة فيها ، وكيف تقول له وكأنها تؤنبه « بعض الجنود يخافون الموت ! » فيجيبها « كلهم ياسيدتى كلهم ! ان من واجبنا أن نعيش قدر ما نستطيع ! » ثم ينبهها الى أنها إذا صرخت أو نادت فسيدخل الجنود ويذبحونه كما تذبح الخنازير ! ويلفتها الى أنها لا ترتدى غير قميص النوم وانها لذلك لا تستطيع أن تقابل أحداً فتندفع نحو المشجب تريد معطفها فيحول بينها وبينه فتقول له « ان هذا السلاح ليس من أسلحة الرجل الشريف ! » فيجيبها « ولكنه سلاح قيم لشخص لا يحول بينه وبين الموت سواك ! » ولكنه مع هذا ما ان يسمع طارقاً يدق باب الغرفة حتى يسلمها المعطف وهو يقول « قضى الامر ! » فتلبسها

عواطفها الانسانية وتدفعه خلف الستار فيطيعها وهو يقول ، اذكرى ياسيدتى أن ثمة أعشار الجنود من البلاهة بمكان ! ، وتفتح الباب فاذا بالطارق خادمتها لوكا جاءت لتوقظها ولتقول لها ان الجيران اشتبهوا فى شخص تسلق الجدار الى هذه الغرفة ؛ ثم تدخل الأم ، كاترين ، لتسأل عن سلامة ابنتها ولتسمح لأحد الضباط الروسيين فى تفتيش الحجرة فيدخل هذا الضابط وهو فى الزى البلغارى وسيفه فى يده ويذهب الى الشرفة ويسأل الفتاة بضع أسئلة ثم يخرج تتبعه الام والخادمة . ومن الغريب ان مسدس الجندى المختفى لم يبصره الضابط الروسى مع انه كان فى مكان ظاهر ، وهذا يحملنا نصدق ، ان ثمة أعشار الجنود من البلاهة بمكان ! ... وبالطبع يخرج الرجل من وراء الستار وهو يتنفس الصعداء ويشكر الفتاة فى كلمات مؤثرة على مساعدتها القيمة له

وهنا أقف قليلا لتدرك معى قيمة هذا الحوار الذى كان بينهما ومافيه من متعة فنية وما يحويه من نقد قوى ، فالرجل لايحمل فى كيس الذخيرة شيئاً ، وحتى فى وقت الحرب لايحمل فى هذا الكيس الا الحلوى ! والجنود عنده رجلان ، رجل حديث العهد بالجندية يحمل الكثير من الذخيرة ، ورجل مارس المهنة من زمن طويل لايهتم بالرصاص أو « الخرطوش » ، وأنت تدرك مقدار جوع هذا الرجل من مشاهدته وهو يلتهم ماقدمته له الفتاة من « الشكولاته » فى جشم ليس كمثله جشم ، ثم يسرد عليها كيف تقدمت فرقة من الفرسان نحو بطارية المدافع التى يعمل فيها ، وكيف كان يقود هؤلاء الفرسان رجل وسيم الطلعة ، هو فى صورته وحركاته أبعد مايكون عن الجندية وأقرب مايكون الى ممثلى الاوبرا ! وكيف كان هذا القائد تحورا كأنه ، دون كشوط ، عند طواحين الهواء ! واذا كان كل من يمارس الحرب على شىء من الجنون فهذا الرجل أكثرهم جنونا لأنه غامر برجاله ضد بطارية من المدافع ما ان تنطلق حتى تحصدهم حصدا ، ولكنه كان حسن الحظ لنفاد الذخيرة ، وهنا تلفته الفتاة الى صورة خطيبها « سرجيوس » ، وتخبره أنه الرجل الذى كان يتحدث عنه وتفهم نحن من حديثها أنها غاضبة ، وأنها لاتريد منه إن يمكث فى غرفتها ، فيتردد ثم يهم بالخروج من حيث أتى فتسأله « واذا سقطت ؟ » فيجيبها « أنام نوما هادئا متصلا لاننى لم أنم منذ ثمانية واربعين ساعة ! » ولكنها ما ان تسمع صوت الطلقات النارية وتشعر بالخطر الذى يتهدده حتى ترجوه وتلحف فى الرجاء أن يمكث معها !

ويكون بينهما حوار آخر يدعونا الى الابتسام لأننا ندرك منه مقدار سذاجة « رينا » .

وهى تصف له مكتبة المنزل ، وبساطتها وهى تمتدح له أسرة « بتكوف » التى تنتسب اليها ، ونبلها وهى تسرد له كيف يستطيع أن يسلم نفسه لهذه الاسرة دون خوف ، وتختم حديثها بأن تقدم له يدها فيقبلها معتذرا بأن لايستطيع مصافحتها لقذارة كفيه ! ثم يطلب اليها أن تنادى أمها .

وأنت تتأثر ولا شك عند ماترى الرجل وهو يغالب النوم والنوم يغالبه ، وتضحك فى اشفاق عند ماتراه لايستطيع أن يعدل قامته ، وعندما يجلس على الفراش وهو يقول لنفسه : « سأجلس فقط » ، وعندما ينام وهو يقول « سأرقد فقط » . . . وتعجب له كيف يغلبه النوم فى هذه السرعة !

وتدخل الفتاة ومعها أمها فيبحثان عنه ثم يجدانه نائما فتحاول الأم أيقاظه فتمنعها الفتاة ...!

• • •

انتقل بك الآن الى مارس من عام ١٨٨٦ والى حديقة الماجور « بتكوف » والد « رينا » حيث ترى الخادم « نقولا » ينصح زميلته « لوكا » بأن تحتاط فى معاملة أفراد الاسرة ، وأن تحترمهم أو على الأقل تتظاهر باحترامهم ، وهى ان لم تفعل فلن يتزوجها ، ولكن الخادمة ناقمة عليه وعلى أفراد الاسرة جميعا ؛ ثائرة على المركز الاجتماعى الذى أوجدتها فيه المصادفة وحدها !

ويدخل رب البيت راضياً مطمئنا لأن الحرب قد انتهت . ثم تدخل زوجته كاترين فيتلقاها فى شوق ولهفة ، ويكون بينهما حديث طريف تفهم منه كيف تخلصت المدنية الغربية الى البلاد البلغارية فى ذلك الحين وموقف الناس حيالها . يدلك على ذلك ان الزوجة عندما شكت اليه الألم المزمن الذى تحس به فى حنجرتها يقول لها « كل هذا ناتج من استحمامك كل يوم .. هذه عدوى انجليزية وهى لاتتفق مع الفطرة ! » ويدلك عليه أيضا أن الزوجة ما ان تأخذ فى وصف الجرس الكهربائى الذى وضعته فى المكتبة حتى يسألها « ماهو الجرس الكهربائى ؟ » .

ويدخل سرجيوس فيتلقاه الزوجان فى اغتباط وسرور ، ونعلم من حديثه أنه قدم استقالته من الجندية . فاذا استغرب الزوجان منه ذلك قال لهما هذه الجملة القوية حقا « الجندية هى فن الجبان ، هى الهجوم القاسى عند القوى ، والتنكب عن مواطن الخطر عند الضعيف ، وهذه هى كل أسرار الحرب الناجحة ، تلاق عدوك على غرة ولا تحاربه على قدم المساواة » وهنا يجيبه رب المنزل بهذه الجملة الحكيمة « فى اعتقادى ان الجندية مهنة مثل هذه المهن ! »

وان تعجب لشيء فاعجب من موقف « رينا » — التي كانت قد جاءت منذ لحظات — حيال سرجيوس وهو يسرد قصة الضابط السويسري الذي اختبأ في غرفة احدى بنات أشراف بلغاريا ، وكيف استطاع أن يعود ناجيا في زي رب المنزل ! فانها تنظر الى خطيبها في غضب وتقول له ، ان الجندية قد غيرتك لجعلتك تنسى قواعد الحديث ! ، كأنها لاتعرف من أمر هذا الضابط السويسري شيئاً !

وتأخذ كاترين زوجها ليشاهد الجرس الكهربائي : وما ان يتركا ابنتهما مع خطيبها حتى نسمع منهما هذا النوع المألوف من الحديث المتكلف وما فيه من غلو واغراب ، هذا النوع من الحديث الذي لايدل على فكرة ولا يشرح عاطفة ، فهو متيم ، وهي موهلة و ... و ... ! وستدرك معي مقدار قسوة برنارد شو في انتقاد النظم العائلية فانه يصورلنا سرجيوس الذي ما ان تتركه « رينا » لتحضر قبعتها حتى يمثل دورا غراميا غريبا مع الخادمة « لوكا » !

وتنادي كاترين سرجيوس ليساعدزوجها في ترتيب إعادة ثلاث فرق الى « فليبوبوليس » عن طريق « صوفيا » ، فيفعل . ويكون بين الام وابنتها حوارغريب يدور كله حول الضابط السويسري وما سبب لهما من تعب ما كان أغناهما عنه . فان الوالد سأل أول ماسأل عن معطفه القديم الذي تزيا به ذلك الضابط ! وهنا تدخل الخادمة تعلن ان ضابطا في الزي الصربي يريد سيدتها ، فتقع كاترين في حيرة ... كيف تلقاه وأين تلقاه ؟ وتعود الخادمة فاذا هو الضابط الذي اختبأ في غرفة الفتاة جاء لاعادة المعطف وشكر السيدة : فتقابله الام بـ « منولوج » طويل ملخصه ان من واجبه أن يترك المنزل حالا وأن يترك حافظة ملابسه التي سوف تعاد له اذا تكرم وترك عنوانه ... وفجأة ينحدر « بتكوف » ينحدرعلى السلم يريد تحية « بلانتشيلي » — وهذا هو اسم الضابط السويسري — ويسلم عليه في حرارة وصدق مما يضطرك الى التفكير في هذين الرجلين اللذين دفعتهما الظروف وحدها لمحاربة كل منهما الآخر ... وعندئذ تحدث بعض المفاجآت الطريفة الناتجة من حرص الام والابنة على الظهور بعدم معرفتهما لهذا السويسري ، ويدعو رب المنزل ضيفه الى مساعدته في اعداد مايلزم لاعادة الفرق الثلاث فيقبل راضيا !

• • •

أما الفصل الثالث فهو ليس في أهمية الفصلين الاولين من الناحية الانتقادية ، وانما هو فصل قيم حقا من الوجهة الدرامية ، فان « المشكلة » تصل الى نهايتها في هذا الفصل ، وأنا

لا أستطيع ان ألخصه لك فى هذه الصفحات القليلة وأريدك على ان تقرأه بنفسك !

أما الحوادث فتقع فى غرفة المكتبة فى نفس اليوم ، وهو مشحون بالمفاجآت الناتجة من المعطف ، ومن الصورة التى أحدثها القناة للضابط السويدى ليلة اختنى فى غرفتها ، هذه الصورة تظهرك على بساطة الاب وشك الخطيب ودهاء الفتاة وخوف الام !

وانظر الى الخادم « نقولا » وكيف ينصح زميله « لوكا » للمرة الثانية ، وكيف تثور به وتقول له « أنت تبيع رجولتك بالاجر الذى تتناوله ، وتريد أن تشترينى ببعضه .. لقد ولدت لتكون خادما أما انا فلا ! واذكرك انك عندما تفتح حانوتك للتجارة كما تقول فلن تتحرر . ولن تصبح خادم أسرة واحدة كما هو حالك الآن ولكنك ستصبح خادم الناس جميعا! » .

وانظر كيف يفتضح امر « سرجيوس » وهو يمثل دور الغرام مع الخادمة « لوكا » ، وكيف تثور به خطيبته لذلك ، وكيف يفسد مابينهما من علاقة وود ، وكيف تنهار احلامها وآمالها عن الحب والبطولة وما اليهما !

وانظر كيف يتقدم الضابط « بلانتشيل » لحل ذلك الاشكال الذى كان هو السبب فيه ؛ وكيف يبدأ باظهار كل شىء ، وكيف يقول أن « ريينا » هى الفتاة التى آوته فى غرفتها فى ذلك الظرف الدقيق من حياته دون ان تفكر فى النتائج مدفوعة الى ذلك بعاطفتها الراقية وما فيها من رحمة وانسانية ! وكيف تجمع أفراد المنزل جميعاً للمشاورة رغبة منه فى التحكيم وخضوعا للمبادىء الديمقراطية حتى فيما يتصل بالنظم العائلية . وكيف يخطب الفتاة لنفسه بينما يخطب سرجيوس الخادمة « لوكا » ، ثم نسمع له هذه الجملة العاطفية وهو يطلب يد الفتاة « لقد تقدمت اليك كأسير بل كشحاذ فلم تطرديني ، بل أعطيتنى يدك لأقبلها ، وفراشك لأنام عليه ... فماذا أنت فاعلة الآن ؟ » .

عبد الحميد يونس

اديب تركي يخـــــاطب ادباء مصر

بقلم الاستاذ زكى مغامز

كتب الاستاذ زكى مغامز مقالا مسهبا عن اللغتين التركية والعربية فى مجلة الرابطة الشرقية . وقد رأينا فيه من الاراء الصادقة مايدعو الى التفكير ولذلك ننقل منه هذا الجزء التالى

وهنا يجوز لى أن اذكر السبب الاساسى الذى جعل الترك أن يتركوا الاحرف العربية ويستبدلوها بالأحرف اللاتينية كما هوواقع الآن . وهو أن السبب الحقيق ليس افتراق العرب فقط عن الترك كما يظن البعض وليس عداؤهم للعرب فقط بعث بهم الى هذا التبديل . بل أن القضية علمية اجتماعية تاريخية ، لا مسألة عواطف وغضب . فان الترك مالبثوا منذ رأوا تقدم أمم الغرب حتى اقدموا على اصلاح الاحرف العربية بكل مالديهم من الجهد والغيرة ، وهم الذين خدموا الخط العربى عصوراً طويلة خدمة لا ينكرها عليهم أحد ، والمصاحف التى كتبها خطاطو الترك المتداولة والمخطوطات المحفوظة تشهد لأولئك الخطاطين بالفضل الكبير على هذا الخط . ولكن كلما كان النابغون من الترك يتقدمون خطوة فى سبيل ترقية الطباعة بالاحرف العربية كانت الموانع الكامنة فى أشكال الخط العربى ككتابة الاحرف فوق بعضها واتصالها ببعضها والنقط والحركات ترجعهم الى الوراء خطوات . ومن المعلوم أن اللغة التركية ليس فيها بعض الاحرف العربية كالثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف والواو (بتلفظها العربى) فكانوا يستعملون هذه الاحرف على الاغلب فى الكلمات العربية ولا يتلفظون بها كما يتلفظ بها العرب . وكانوا يضيفون الى الأحرف العربية الباء المثلثة والجيم المثلثة والزاى المثلثة والكاف الفارسية والكاف الصامتة التركية لتأدية بعض الالفاظ التركية والالفاظ الفارسية المستعملة فى اللغة التركية . وقد بلغ عدد أشكال الأحرف التركية فى مصفات أو بجمعات المطابع خمسة وثمانين شكلا على النمط البسيط . وبلغ عدد أشكال المصفة الكاملة الجامعة للاحرف الهوائية ايضاً مائة وعشرين شكلا . ولا يخفى مافى ذلك من الصعوبة وضياع الوقت لجامعى الحروف . وقد أرادوا الكتابة بآلات الكتابة الحديثة كما يفعل الغربيون حتى الروم والارمن من الامم المحكومة الشرقية فلم ينجحوا

لكثرة الاحرف وقبح منظرها كلما قل عددها ، فضلا عن الصعوبة التى يصادفها العامل على الآلة . ثم أرادوا ايضاً جمع الاحرف المطبعية بالآلات المستعملة فى أوربا بعد اقتنائهم آلات الطبع السريعة العمل (روتاتيف) وتفرغ لهذا الامر بعض جامعى الاحرف وسافروا الى لندن وقضوا فيها زمنا طويلا فى صب الاحرف العربية وترتيبها على الآلة والتمرن عليها ثم عادوا . واشترت المطبعة العامرة (التى أصبح اسمها الآن مطبعة الدولة) آلتين من هذا النوع تتحركان بالكهرباء . حتى اذا نجحتا يقتنى أصحاب الجرائد والمطابع مثلهما تخفيفاً للنفقات الكبيرة التى يدفعها أصحاب الجرائد والمطابع أجرة الى جامعى الاحرف . لأن أعظم نفقات الجرائد كانت أجرة جامعى الاحرف ، وكانت حملاً ثقيلا يعجز أكثر أصحاب الجرائد عن تحمله . والجامع الواحد على آلة الجمع يستطيع أن يقوم بعمل ستة جامعين ويصب الاحرف صباً كلما جمعها فتكون أحرفا جديدة وتطبع الجريدة بها قطعة واحدة أو بعض قطعات بشكل نظيف وطبع متقن . ثم تذاب بعد انتهاء الطبع ولا يتحمل صاحب الجريدة الخسارة التى تأتى من كثرة استعمال الاحرف وعتقها وتجديدها من آن لآخر . ولكن هذه التجربة ايضاً لم تأت بفائدة فان الآلتين كانتا لا تجمعان الاحرف بسرعة وكانتا فى كل يوم تتعطلان فيقف الجامعون بلا عمل الى حين اصلاحها . وكانت الاحرف التى تجمع بواسطة الآلة مختصرة بعض الاختصار من حيث الخط كما هى الحالة فى آلة الكتابة فما كان يستحسنها الناظر اليها لنقصها من حسن الاحرف التى تجمع باليد . فلما تحقق عدم امكان استعمال هـــذه الآلة للاحرف العربية تركها أصحابها وذهبت النفقات هباء منثورا . ثم توسلت الجهة العسكرية من قبل الحرب العالمية الكتابة بالاحرف منفصلة بلا وصل بينها . فحدث من جراء ذلك فوضى لم يعهد الناس مثلها فى الجندية . فعدل المبتدعون عن بدعتهم وعادت الامور الى ما كانت عليه قبل . ولكن بقى النشء الجديد من الاتراك يتذمرون من الاحرف العربية وعدم قابليتها للاصلاح . وكانوا لما نظروا الى تقدم الغرب ازداد حنقهم على الاحرف العربية وعداؤهم لها . ومما زاد نفورهم من الاحرف العربية والالفاظ العربية المستعملة فى اللغة التركية هو ان أكثر النشء الجديد التركى انصب على تعلم اللغات الغربية منذ أربعين سنة أو ازيد وضاق الوقت امامه عن تعلم اللغة العربية بعكس ما كان فى القديم . بل صعب عليه تعلم القواعد العربية الواردة فى الصرف التركى فبقى يجهلها وأصبح يكتب لغته ويكثر من الاغلاط القبيحة فيها . وكان هذا يأتى بالشديد من انتقاد المتضلعين فى اللغة . فنشأ من ذلك حزبان حزب المحافظين وحزب المجددين وتواصلت بينهما المناقشات عهداً طويلا حتى كان الظفر فى نهاية الامر للحزب الثانى مع ارتكابه الغلط وجهله آداب اللغة لأن الزمان كان فى معونته كما أن حزب

تحرير المرأة قد فاز وحزب المحافظة على الحجاب قد انخذل . وليس الفضل فى الظفرين الا للحاجة ودواعى الزمان لا لسعى الساعين فقط . ولما انتهت الحرب العالمية بافتراق العرب عن الترك وأحرز الكماليون بعد ذلك الظفر على اليونان وقضوا على مطمع الغرب ولم يبق لهم فى البلاد معارض من الحزب القديم ولا وجل من العرب الذين كان لهم أكبر تأثير فى الشؤون الاسلامية تولى الغازى مصطفى كمال زعيم النهضة السياسية قيادة الثورة الادبية عن النشء الجديد التركى وأعلن ابطال الاحرف العربية واستعمال الاحرف اللاتينية فى محلها . وهى فكرة قد جاءت بفعلياتها بعد ما اختمرت أحقاباً طويلة كما مر . ولا يكون الشىء الا بعد أن تتهيأ أسبابه . وعلى ذلك احضر الناس والحكومة من أوربا عشرات الألوف من آلات الكتابة بالاحرف اللاتينية وعم استعمالها فى مصالح الحكومة ومكاتب المحامين وبيوت التجارة وادارات الجرائد بحيث أنك لا ترى بعد هذا الانقلاب محلا خالياً من هذه الآلات وأعظم المتهوسين لهذه الآلات فى الحال الحاضرة هم الشبان والاولاد والفتيات خصوصاً العاجزين منهم عن حسن الخط والكتابة بلا غلط . وقد احضر بعض أصحاب الجرائد آلات جمع الاحرف وأخذوا يجمعون أحرف جرائدهم بهذه الالات . ومن يمر بجادة الباب العالى (وهى جادة انقره الآن) يرَ مصفة أو مجمعة جريدة (مليت) معروضة على أنظار العابرين وفيها ثلاث أو أربع آلات كبيرة وأمام كل آلة جامع يجمع الاحرف وهو قاعد على مقعد كأنه يكتب على الآلة الكاتبة . ومثل هذا الانقلاب العظيم لا يقال عنه أنه خطوة الى الامام بل هو من قبيل الطيران المحلق فى الجو المجهول العاقبة الذى لم يسبق له أمثال فى التاريخ منذ ظهور الكتابة فى الدور العمرانى البشرى . إذ لم يذكر لنا التاريخ أن أمة ذات لغة وكتابة وقد قطعت مراحل كثيرة فى العلوم والآداب كالامة التركية ابدلت بلغة أحرفها بأحرف أخرى . ولذلك لا يستطيع أحد أن يتنبأ الآن بما عسى تكون نتيجة هذا الانقلاب هل تكون خيراً أم شراً ؟ ولكن النشء الجديد التركى يرى أن لا امكان لتأرب الترك (أى أن ينقلبوا أوربيين) وتقدمهم فى العلوم والتمدن ولحوقهم أمم الغرب المترقية الا بهذا الانقلاب الجذرى (الاختصارى) فاما أن تعيش أمتهم فى مصاف تلك الاقوام واما أن يفعل الله بها ما يشاء . وعندهم أن الانتحار أفضل من أن تعيش امتهم مصابة بأدواء عضالة قديمة لا تستطيع النهوض منها . من جملتها الاحرف العربية المخالفة لفنى الكتابة والطباعة العصريين ، وتسلط اللغة العربية على لغتهم . والعرب متأخرون فى كل مكان ولم يبق للترك منفعة من اهتمامهم باللغة العربية ولا بالعرب بل لا يكون لهم من التصاقهم بالعرب الا التأخر والسقوط . هذا ما يقوله شبان الترك . والمنصف الذى يأخذ الامور على حقائقها يرى أن الباعث للترك الى

تغيير أحرفهم واستبدالها بالاحرف اللاتينية ليس الايأسهم من ماض تأخر وسقوط طال عهده ولم يأت بالتقدم الذى يطلبه العصر . وهم غيورون على استقلالهم فرأوا أنهم إذا لم يتشبهوا بالغرب وترقيه ، ضاع منهم الملك والاستقلال ضياعاً لا يمكن جبره . وما أصاب البلاد الاسلامية فى كل مكان من الاسر والرق والعبودية كان لهم أكبر عبرة اعتبروا به فهجروا القديم من قوانين واعتيادات ومعيشة وعلم وأدب ، ولبسوا الجديد من الوسائط العصرية ، وهم دائبون فى هذا الطريق ، والغاية هى التجرد من التشرق ، والتأرب فى كل شىء وقد يبلغون غايتهم عاجلا أو آجلا اللهم الا إذا لم تحدث أمور عظيمة غير منتظرة كظهور حرب عالمية فى وقت قريب واشتراك تركيا بها . ومهما يكن من الامرفانهم فرحون بما فعلوا ويفعلون وتسليتهم فى ذلك انهم فعلوا الممكن واجروا الواجب عليهم أمام التيار الجارف الآتى من ترقى الغرب

ان غايتى من هذا البحث هى لفت انظار العرب ولاسيما ارباب الاقلام منهم الى مايحتاجون اليه من نهضة سريعة عصرية فى اللغة ووسائطها لان اللغة هى آلة الترقى والتقدم وعجزها ونقصانها يعمّ العجز والنقصان فى جميع اسباب الترقى والتقدم . وقد التزمت تطويل البحث تعمدا وشتت المواضيع كثيرا ، ولكن كل ذلك هو من متفرعات اللغة تابع بعضه بعضا لاينفك الواحد عن الآخر . والرائد الاصلى هو الترقى فى العلوم العصرية حتى تترقى اللغة ويشمل الرقى كل شىء . وهذا لايكون الا بمتابعة الاقوام الراقين فى العصر الحاضر الذين بلغوا فى التقدم شأوا لم يبلغه احد قبلهم لامن العرب ولامن غير العرب متابعة بلاتردد ولا توقف ولامناقشة ولامكابرة . وها انا اذكر باختصار آرائى بما يتعلق باللغة العربية ولاادعى العصمة والصواب ولكنى اعتقد ان الصواب ليس بعيدا عما اقول ، وانى اقوم بواجب الوجدان والذمة امام الامة العربية باختيارى اللهجة الواضحة الحرة فى اقوالى ، ولا يهمنى ان رضى البعض او سخط البعض الآخر . فان الزمان اصبح شديد الوطأة لايهمل ولايمهل وكفى ماافتخرنا به من المكابرة والجهل والرياء الذى موهبه وما زال يتاجر به كثير من كتاب العرب الذين يستثمرون الغفلة السائدة على الامة العربية فى كل مكان . وأن ماأقول هو مايقوله الترك لأمتهم . يجب الخروج من الحالة الشرقية والتأرب فى كل شىء . واليك التفصيل بالبيان الصريح

أولا — يلزم ترك جميع الكتب التى الفها العرب أو ترجموها فى عصورهم القديمة وحفظها فى دور الكتب ككتب تاريخية فى العلوم القديمة يطالعها من يشاء من المتبحرين ، وعدم

طبعها وتداولها بعد الآن الا كتل ما يفعل المستشرقون فى الغرب بامثالها . فهذه الكتب ألفت لزمان انقضى وجيل مضى ولهجتها لهجة ذلك الزمان وكانت مفيدة يتداولها الناس فى ذلك الزمان القديم إذ كانت جامعة لمنتهى ما وصل اليـــه الناس من العلوم . ولكن اليوم أصبحت مضرة إذا أضاع الناس أوقاتهم بمطالعتها وسمموا أذهانهم بما توحيه اليهم من تأثير قهقرى وضيق فكر وتأخر وخذلان . لأن العلوم قد ترقت وتبدلت وبعدت عن تلك الدائرة بعدا شاسعا . فابن هذا العصر لا يتغذى بمثل ذلك الغذاء فاذا تغذى به قتلت ذاكرته وعميت بصيرته ولا أستثنى منها كتابا حتى التاريخ والأدب . وعلى طابعى الكتب العربية أن يطبعوا الكتب العصرية بنات الترقى الحاضر ولا سيما الترجمة الصحيحة الجيدة منها التى تجعل قارئها ابن العصر الحاضر بدلا من طبع الكتب القديمة التى تجر بقارئها الى العلم الابتدائى الخاص بالعصور الوسطى . وبذلك تزداد المادة العصرية ويقف تيار التقهقر الذى ما زال يجرف تقدم الامة العربية

ثانياً — تحويل اللغة العربية الى شكل بسيط سهل الفهم سهل الكتابة مع عدم اخلال أساس اللغة . ومن حظ العرب أن الزمان قد نسج هذا النسيج ونمت اللغة البسيطة نمواً طبيعياً وهى لغة الجرائد ولغة بعض الكتاب والمؤلفين الذين ينظرون الى المعانى لا الى الالفاظ فترى عباراتهم سلسة لا يحتاج قارئها الى قراءتها ثانياً وثالثاً ليتمكن من فهم المعنى . الا انك ترى من جهة أخرى أنه لما زال كثير من كتاب العربية وأدبائها يتوخون فى الكتابة الجمل المغلقة والالفاظ المهجورة أو شبه المهجورة اظهاراً لبراعة الانشاء . فتأتى مكتوباتهم عبارة عن الفاظ بلا معنى وقعقعة بلا طحن ويضرون بها ما سلكت عليه اللغة من مجرى طبيعى . وسبب طلبى عدم الاخلال بأساس اللغة هو أن المتكلمين بالعربية منتشرون فى ممالك مختلفة وكل مملكة لها لغة عامية . والكل فى تأخر وتدنى مختلف الدرجات بالنظر الى ترقى حضارة العصر الحاضر ولا يوجد بين هذه الممالك الشاسعة الاطراف جامعة أو رابطة الا جامعة اللغة التى احتفظ بها السلف الكريم وتركوها خير ذخر للخلف وأكرم تراث ورثناه عنهم . ولكن التضييق والضغط الآتيين من اعتلاء كفة الغربيين اخل بتوازن الحالة الاجتماعية فى الشرق وكان له تأثير كبير على كل شىء حتى على اللغة فلم تسلم منه . وهل اللغة غير شىء من الحياة الاجتماعية للأمة تعلو باعتلاء حضارة الامة وتتأخر بتأخرها ؟ وكان من جملة التأثير الذى أصاب اللغة العربية محاولة البعض اقامة اللغة العامية فى محل اللغة الكتابية التى بقيت واحدة بين العرب مهما اختلفت المذاهب والديار بينهم . وما تولد مثل هذه الآراء الا أمر طبيعى لا يستغرب ظهوره ما دامت اللغات العاميـــة فى كل محل غير لغة المحل الآخر وغير اللغة

الكتابية فالمحاولون لمثل هذه البدعة قد يجدون استعداداً واسعاً إذا لم يتدارك أمره القائمون على الجامعة العربية . ولذلك أرى من الضرورى تقريب اللغة الكتابية الى أذهان العوام وهذا لا يكون الا بجعل لغة الكتابة بسيطة سهلة القواعد لا تحتوى الا الالفاظ التى يحتاج اليها الكاتب العلمى وترك الزوائد التى اهملها الزمان

ومن جملة ذلك كثرة الأسماء لمسمى واحد وكثرة الألفاظ لمعنى واحد وعندى أن مثل ذلك لايعد غنى للغة بل هو من نوع الفوضى التى بليت اللغة بها فى دورها القديم ولا يوجد لغة من اللغات الأخرى تحفظ لنفسها مثل هذه الفوضى فى العصر الحاضر .

ثالثاً — لأجل الوصول الى ذلك يجب اصلاح قواميس اللغة وكتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان وتعميم القراءة بين أعلى الطبقات وأدناها . واصلاح القواميس يكون بحذف جميع الالفاظ والمعانى التى لاتستعمل هذا الزمان . وفى جملتها المعانى القبيحة والمشتقات التى لم يستعملها السلف إلا نادرا . وهى كثيرة جداً فانك لاتجد أصلا من من الثلاثى أو الرباعى ولا من مزيداتهما إلا وترى فيه معنى أو معانى كثيرة تدل على المناسبات الجنسية أو ماشابهها ومثل هذا لانراه فى قواميس اللغات الأخرى وكذلك ترى كثيراً من الألفاظ قد ملأت القواميس ولم يستعملها الا شاعر جاهلى أو جاءت فى ضرب مثل أو غيره نقلا عن البادية ولم يستعمله الناس الا تداولا فى الكتب . فهذه الالفاظ يجب حذفها أيضاً وهكذا يجب حذف كثير من ألفاظ أهل البادية التى أصبح أهل البادية أنفسهم يجهلونها ولا يتكلمون بها ولم يعد لها فائدة إلا تسويد بطون الاوراق عبثاً وتشويش الاذهان بمطالعتها . كل ذلك يلزم حذفه وتجريد القواميس منه وبذلك يخف عن اللغة نصف الحمل وتبقى الالفاظ اللازمة للغة هذا العصر . ومن شاء أن يتوسع فى علم اللغة ويطالع أشعار أهل الجاهلية وما كتبه أئمة اللغة وفحول الشعراء والبلغاء (وأصحاب المقامات المعجبة الشكل والمعنى) فلا يصعب عليه مراجعة القواميس و كتب اللغة التى كتبت فى تلك العصور لاهل ذاك الزمان ، ولا تجد بين العرب واحداً فى الالف ممن يميل الى هذا التوسع ولايهمنا هذا العدد القليل بل يهمنا التسعمائة والتسعة والتسعين وهم ركن الامة . ومتى انطوت تلك الالفاظ وفرغ مكانها يجب أملاؤه أو املاء قسم منه بما دخل اللغة من معانى جديدة عربية كالطيارة والسيارة والدراجة والمنطاد والمدفع والبندقية والكهرباء والبرق والهاتف والقطار والمحطة والمطار والمصنع (فابريكة) والمصحة (كلينيك) والمشرحة أو مشهر الموتى و « موزع » والباخرة والبارجة والمدرعة والطرادة والنطاسة والغواصة والمرحل

والرقاص والقذافة والشاحنة والقاطرة والمنطاد المسير (دبريجابل) والحفلة الساهرة وكثير من أمثالها التي دخلت اللغة وثبتت لسهولة استعمالها وشدة الحاجة اليها . وسيدخل اللغة مئات أخرى من أمثال هذه المعاني بعامل الترقي الحاضر . وهذا غير مادخل ويدخل اللغة عن طريق الاقتباس والتعريب كالميكروب ورسم الكروكي وغاز الكبريتيك والتحليل البكتريولوجي والتيفوس الطفحي والملاريا والحمى التيفوئيدية والدفتريا (الخناق) والانفلونزا والتيتانوس والدوسنطاريا والبالة والبلاج والكازينو والروليت والترام والكوبون والبترول والترانسيت وكثير غيرها من الاسماء والاصطلاحات لسائر العلوم والحرف والاشياء التي اكتشف العلم والتحضر مسمياتها في العصور الاخيرة ولم تكن معروفة عند العرب .

وسيدخل اللغة الفاظ أخرى من صفات وأفعال وأسماء لتأدية المعاني التي تنتقل من اللغات الاخرى ولا يوجد مقابلها في اللغة العربية كتعريب السلف عن الفارسية « تازه » بلفظ طازج و « ساده » بلفظ « ساذج » وغيرها من الالفاظ . ولا يعرف حاجة اللغة لمثل ذلك الا من عانى الترجمة من اللغات الاخرى . وبمثل هذا التكمل والانقلاب يمكن تحويل اللغة العربية الى لغة عصرية جامعة لما كان وما يكون في السماء وفي الارض ، ويمكن وضع قاموس عصري تقليد لاروس يتكمل مع الزمان . يلزم قبل كل شيء تحرير اللغة من عبوديتها البدوية وترك الحكم فيها لعوامل التمدن الحاضر . أما كتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان فينبغي أيضا أن تأخذ عين مجرى اللغة . فالقواعد يجب أن توضع للالفاظ المستعملة والامثال يلزم أن تؤخذ من الكلام الشائع بين الناس لا أن يؤتى بكل مانطق به العرب ويوضع له قواعد ويؤخذ مثالا لها كما هو الواقع في كتب الصرف والنحو عند العرب أمامنا أمم قد اعتلت علوا كبيرا في سماء التمدن الحاضر وعلوها هذا قد شمل جميع وسائط الحياة العلمية فينبغي أن نجعل كتبها في الصرف والنحو والانشاء والبيان وأشكال التعليم والتدريس قدوة لنا في كتب الصرف والنحو والانشاء والبيان وسائر الكتب وأن نأخذ الامثلة من أقوالنا العصرية الشائعة بما وصل اليه الترقي الحديث . لا أن نقلد القديم الذي مات زمانه وبطل حكمه بالنظر الى هذا العصر ونحن في غفلة لانتبه منها .

رابعاً — التسامح في توسيع المجاز عند إيجاد مايقابل الالفاظ الجديدة على أن تكون الالفاظ معروفة ، لامهجورة ليسهل قبولها واستعمالها والا فانها تذهب عبثاً . وينبغي منذ الآن التسليم بأننا مهما اجتهدنا وبالغنا في البحث والتنقيب فاننا لانستطيع أن نجد لكل شيء حديث اسماً في العربية يميزه عن غيره . ولذلك لابد من تعريب كثير من الالفاظ الاجنبية وادخالها في اللغة . واضرب لذلك مثالا صغيراوهو أننا قد اطلقنا اسم « سيارة » للاتوموبيل

ولكن للسيارة أنواعا وكل منها له اسم مخصوص وهذا فضلا على الكاميون والكاميونيت والاوتوكار فكل هذه الاسماء تحتاج الى مايقابلها فى اللغة العربية، ولو أردنا أن نجمع هذه الالفاظ من كل مبتكر حديث لبلغ عددها الالوف ولذلك لابد من تعريب أكثر هذه الالفاظ الحديثة إذ ليس فى الامكان ايجاد الفاظ عربيه لكلها. ومتى عربناها دخلت فى مصاف الفاظ اللغة ودخلت فى القاموس وسائر الكتب.

خامسا — أرى أنه لابد من ضم أربعة أحرف الى الالف باء العربية وهى الباء المثلثة والجيم المثلثة والزاى المثلثة والكاف الفارسية واستعمال الغين والواو والهاء فى الاسماء الخاصة الاجنبية فى محل G و V و E مع اثبات حروف الحركات فى محل الحركات. وبذلك يمكن التلفظ بتلك الالفاظ كما فى أصولها وحفظها من المسخ والتحريف الذى يطرأ عليها من التعريب فلا تصبح مشوهة يصعب معرفة أصلها كما هى الحالة فى كثير من المعربات. فيلزم أن يكتب بيه ر فى محل بيار أو بيير وبوانكاره فى محل بوانكارى وويانه فى محل فينا وويكتور هوغو فى محل فيكتورهيكو وبورتوالله غروى محل بورتواليغرى ودانته فى محل دانتى وجلبه فى محل جلي ومارسيليا فى محل مرسيليا وهكذا فى جميع الاعلام على تلفظ الاصل

سادسا — اصلاح الشعر العربى بتحريره من اللهجة البدوية والفاظ البادية والتوسع فى الاوزان والقوافى وترك الالفاظ المهجورة التى يستعملها الشعراء اضطرارا لضيق الوزن والقافية ولا يفهمها من يقرأ تلك الاشعار الا بعد مراجعة القواميس وضياع لذة الشعر. فهذه الاوزان والقوافى ومعانى البادية وضعها أهل الجاهلية قبل عهد لايقل عن ألف وخمسمائة سنة وكانت متناسبة مع عصرهم وكانوا الموجدين المبدعين فيها. فهم آباء الشعر العربى كما أن ابقراط كان أبا الطب وهيرودوت أبا التاريخ. وقد انقضى عهد الجاهلية وخلقنا فى عصر لاشبه بينه وبين العصور القديمة. فكما أن كل شىء توسع وتكمل تابعا للرقى الحاضر فكذلك لابد من توسيع نطاق الشعر وجعله ملائما لحاجة هذا العصر

سابعا — انى الفت النظر الى الموسيقى الغربى لانه الموسيقى العلمى الذى لابد لكل أمة تطلب الحياة أن تتبعه، ولا يجسر أحد على التنبؤ بان العرب سيبقون فى تأخرهم الحاضر ولا يتأربون ولا يشتد ساعدهم بين أرباب الرقى من الامم الحاضرة. بل أقول أنه لابد من أن يأتى يوم قريبا أو بعيداً وشعراء العرب قد نظموا الوقائع المرسحية على شكل أوبيرا أو أوبيريت وقام جوق من العرب يترنمون هذه الاشعار كل صوت له نغمته الموسيقية تحت قيادة هيئة مؤلفة من خمسين أو ستين موسيقيا. وليست القضية الا قضية زمان لاغيره.

ولذلك أرجو من قادة الشعر العربى المجهزين بعلوم الغرب أن ينظروا الى المستقبل عند نهضتهم فى الشعر . فان الامة متى ترقت لاتتغذى الا بالموسيقى العلى وهو موسيقى الغرب فيلزم أن تنتبه الاذهان منذ الآن الى ذلك . يلزم تقليد فحول شعراء الغرب فى الشعر العربى لاتقليد شعراء الجاهلية أو الاسلاميين أو المولدين لان دور هؤلاء قد انقضى ودخل فى حكم التاريخ ولم يعد فى الامكان احياء زمانهم

ثامنا — أكرر لفت النظر الى آلات الكتابة وآلات الطبع فكما أن اللسان هو الآلة الناطقة فآلات الكتابة والطبع وفى جملتها الاحرف هى آلات النطق الصامت . ولا يمكن أن تترقى الامة فى سائر الامور ولا تترقى فى وسائط الكتابة والطبع كما ينبغى الا باستعمال أحدث الآلات فى الطيران واللاسلكى فكذلك يجب استعمال أحدث آلة وجدت للكتابة والطبع . ولهذا ألفت النظر وأترك الفكرة فيه لمن يقومون بالنهضة الحقيقية للعرب لاعلاء شأن العرب الى مستوى الغرب وتأريبهم

فهذا ماأردت كتابته والفات النظر اليه — وارجو ان يتمعن به كل من يهمه شأن هذه الامة ويبدى فكره بكل صراحة كما فعلت . ولا يهاب فيما يقوله الاضهيره . ومرمى نظرى هو للبعيد لا للحالة الحاضرة . ولكن اذالم يفكر الانسان بالبعيد عرالوقت ولا يصل الى الغاية المقصودة . وهذا هوسبب استمرار تأخر العرب هذا العصر . وخلاصة القول انى أطلب للعرب التأرب فى كل شىء أطلب لهم ان تكون لغتهم لغة هذا العصر وان يكون قاموسهم قاموس هذا العصر ينسج فيه على منوال قواميس لاروس من حيث الترتيب والطبع والموضوع من دون تشويه وأن تكون كتبهم ومطابعهم كتب هذا العصر ومطابعه وأن يكون كتابهم ومؤلفوهم ممن تحكمت عليهم لغات الامم الراقية فيأتون بالجديد والمبتكر وقد تهيأ للعرب ممن درسوا فى مدارس الغرب نشء جديد يستطيع ان يقوم بهذه النهضة المباركة فلا ينقصهم الا معرفة دركة السقوط التى هم فيها . فمتى قدروا هذا السقوط وهبوا للنهضة الحقيقية التى تقدمهم فيها الترك وتوسلوا بالاسباب بلغوا ماتمنوه أمام سيل ترقى الغرب الذى لاينصف ولا يرحم الا اذا قوبل بعين تفوقه وتقدمه

زكى مغامز

من أعضاء لجنة التأليف والترجمة بنظارة معارف استانبول سابقا

العرب لم يحرقوا مكتبة الاسكندرية

بقلم الاستاذ محمد محمد مكين

اختلف المؤرخون فيمن أسس هذه المكتبة فبعضهم يقول أنه بطليموس الاول (٣٢٣ - ٢٨٥) ق . م مؤسس دولة البطالسة . والبعض الآخر يقول أن خلفه بطليموس الثانى (٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م) هو المؤسس : أما الأول فهو صاحب الفكرة

عاشت هذه المكتبة طول أيام البطالسة يرعاها ملوك هذه الدولة بعنايتهم عاملين على توسيعها وملئها بمختلف الكتب ونادر المخطوطات — ومن أعظمهم أثراً فى ذلك بطليموس الثالث بانى معبد ادفو . فانه جلب اليها من خزائن اثينا كل ماله قيمة من كتب الأدب والشعر والتمثيل . وفرض على كل من يقيم بالاسكندرية أو يمر بها من رجال العلم أن يهدى للمكتبة نسخة مما يملكه من الكتب

كانت المكتبة قسمين . احدهما كان ملحقاً بدار التحف وكان يسمى بالخزانة الملوكية والآخر كان ملحقاً بمعبد السرابيوم . وصار يعظم شأن هذه المكتبة حتى أصبحت تحتوى نحو مائة ألف كتاب تقريباً وكلها من أنفس الكتب التى تبحث فى مباحث مختلفة كالطب والفلسفة والرياضيات والآداب وتقويم البلدان . وبفضل هذه المكتبة أصبحت الاسكندرية مركزاً من مراكز الحضارة فى ذلك الوقت . وصار يقصدها العلماء والطلاب من جميع أقطار العالم المتمدين للمطالعة والاستفادة حتى نبغ منهم من لاتزال ذكراه خالدة أمثال اقليدس الذى وضع قواعد علم الهندسة واراتسطينى أول من قاس محيط الكرة الأرضية وقاس حجمها ورسم خريطة للعالم — وديونيسيوس الذى وضع قواعد الأجرومية الاغريقية التى أثرت فى أجروميات اللغات الاخرى فيما بعد — وكذلك ثيوكريتوس أشهر كتاب الأدب . وكان ارشميدس العالم الطبيعى الذى لم يقم بالاسكندرية على اتصال تام بعلمائها — وكان من نفائس الكتب فى هذه المكتبة كتاب ألفه مانيتون الكاهن المصرى عن تاريخ مصر القديم بأمر من بطليموس فيلادلف (الثانى)

بقيت هذه المكتبة طول عهد البطالسة يانعة زاهرة ولكنها ذوت وذبلت وأفل نجمها منذ ان استولى الرومان على مصر . فتلقت أول ضربة سنة ٤٧ ق . م — وذلك ان يوليوس قيصر قصد الى الاسكندرية سنة ٤٧ ق . م للقضاء على عدوه بومبى — الذى فر الى مصر —

وليضم مصر الى الامبراطورية الرومانية . وبينما كان اسطوله مرابطا في الميناء أخذته الجيوش المصرية على حين غرة . فلم ير وسيلة لرد جيوش المغيرين غير حرق الاسطول فاتصلت النيران ببعض المباني وكان من بينها المكتبة فأتلفتها . وفي ذلك يقول المؤرخ الروماني الشهير بلوتارك Plutarch : بينما كان الاعداء يستولون على اسطوله ، اضطر ان يردهم بالنار فاندلع لهيبها من الحياض واتلف المكتبة .

وبعد هذه الحادثة بثماني سنين تجددت بالاسكندرية مكتبة . الا أنه في أواخر القرن الرابع الميلادي جعل المسيحيون يضطهدون الوثنيين ويخربون معابدهم حتى ان الامبراطور الروماني ثيودسيوس أصدر مرسوما سنة ٣٨ م يحتم اعتناق المسيحية ، وحرم عبادة الأوثان وخرب معابدها وأغلق معاهدها ومنها مكتبة الاسكندرية التي حرقها غوغاء المسيحيين بتحريض الاسقف ثيوفيل الروماني . وبذلك تم اعدامها عن آخرها سنة ٣٩١ م

الا ان هناك من المؤرخين من يريد تشويه تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن هؤلاء عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب الافادة والاعتبار بما في مصر من آثار . وأبو الفرج الملطي مؤلف تاريخ مختصر الدول . وعلى روايتهما يعتمد جورجي زيدان في الصاق تهمة حرق المكتبة على عاتق العرب . والبغدادي أول من افترى على العرب تلك الفرية . قال في كتابه الافادة والاعتبار « ورأيت أيضا حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها ، وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه ارسطو وشيعته من بعده وأنه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن من عمر بن الخطاب رضي الله عنه » اهـ . . .

هذا ماقاله البغدادي وقاله بمجرد الظن والتخمين ثم ان عبارته جاءت عرضا دليلا على أنه ذكرها من غير روية وتحقيق لذلك لاتعتبر مرجعا تاريخيا

أما أبو الفرج الملطي فقد ذكر أن عمر بن العاص استفتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمر هذه المكتبة بعد محادثة جرت بينه وبين يحيى النحوي فورده كتاب عمر يقول فيه « ... وأما الكتب التي ذكرتها فان كان مافيها يوافق كتاب الله ففي كتاب الله غنى عنه وان كان فيها مايخالف كتاب الله فلا حاجة اليه . فتقدم باعدامها » .

وقال الملطي عند ذلك شرع عمر بن العاص يفرق هذه الكتب على حمامات الاسكندرية وعددها أربعة آلاف حمام وأمر بأن تحرق في مواقدها فكفتها ستة أشهر كاملة ـ !!!